أسلوبُ المُقَابَلةِ عِندَ البَلاغِيِّين
بينَ التَّشَدُّد والتَّوَسُّع

د/ إبراهيم عطية إبراهيم عيسى
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

أسلوبُ المُقَابَلةِ عِندَ البَلاغِيِّن بينَ التَّشَدُّد والتَّوَسُّع

إبراهيم عطية إبراهيم عيسى

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربيـــة للبنـــين بدســـوق جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني :ibrahimeisa.el.8.283@azhar.edu.eg

الملخص:

يتطرق هذا البحث لكشف المواطن التي تلتقى فيها دراسات البلاغيين للمقابلة، وكيف تضافرت لأجل الوصول إلى تحديد مفهومها، فقد تعددت رؤى البلاغيين في دراسة المقابلة بين مُتشدّد في مفهومها وتقسيماتها وحصرها في صور بعينها، وبين متوسع في دراستها استنادا إلى واقع النصوص العربية متجاوزين التقيد بالضّدّ أو الترتيب أو العدد، انطلاقا إلى ما هو أوسع وأرحب، ولعل من أهم هذه الدعاوى ربط أسلوب المقابلة بالمعاني، وقد وجدت هذه الدعوى صدى كبيرا لدى الباحثين قديما وحديثا، فأسهمت في إغناء مفهوما، وتوسيع أنماطها ودلالاتها، وبهذه المعالجة يتم ربطها بمنهج الإمام عبد القاهر القائم على التسليم بفكرة النظم، وهى المصدر الأساس لكل صفات الحسن والجمال.

الكلمات مفتاحية: التقابل –التماثل – التوافق – التخـــالف – الاســـتحقاق – الموازنة – المواقف.

Rhetoric interviewing style between hardening and expanding

Ibrahim Atiyah Ibrahim Issa
Department of Rhetoric and Criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Boys in the Desouk of Al-Azhar University
Email: ibrahimeisa.el.8.283@azhar.edu.eg

Abstract

The present study aims at revealing the meeting points in which the Rhetoric Scholars meet for the *Contrast*, and how they combined in order to reach the definition of its concept. The Rhetoric Scholars' visions varied with regard to studying the *Contrast* between those who are strict and extremist concerning its concept, divisions and confining it to specific images on one hand , and those who expand their own study of the contrast due to the reality of Arabic texts, overcoming the adherence to opposition or arrangement or the number in quest for what is broader and more welcoming. Perhaps, the most important study or call among them is the study which aims at linking the style of the Contrast with the meaning. Indeed, the study has greatly been supported and admired by the researchers in the past and at the present time. So it has already contributed to enriching its own concept and expanding its own patterns and connotations. Hence, such a type of treatment has been linked to the approach of Imam Abdul Qaher based on the belief in and recognition of the idea of Word Organizing which is the main source of the qualities of beauty.

Key words: Convergence - Symmetry - Agreement - Disagreement - Merit - Balancing - Attitudes.

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، صاحب الآيات البينات، والمعجزات الباهرات، المؤيَّد بالحق، والهادي إلى سواء الصراط. وبعد...

فقد حظى أسلوب المقابلة عند البلاغيين بنصيب وافر من التقسيم والتفريع أحالته إلى درجة من الاختلاط والاضطراب؛ فمنهم من قصر أسلوب المقابلة على الأضداد مع التقيُّد بالترتيب والعدد مع تسارع الدعوات إلى زيادة عدد المقابلات في الأسلوب الواحد؛ إذ كلما كثر عددها كانت أبلغ، ومنهم من تجاوز التقيد بالضد أو الترتيب أو العدد ،فامتدّ النظر إلى ما هو أبعد من ذلك؛ كالمقابلة المعنوية، والمقابلة بالموازنة، والمقابلة بالالتزام وغيرها استنادا إلى واقع النصوص العربية، حيث وردت المقابلة في فصيح اللسان العربي بين الأضداد وغيرها.

من ثمَّ تعددت رُؤى البلاغيين حول أسلوب المقابلة بين مُتَشَدِّدٍ في مفهوما وتقسيماتها وحصرها في صور بعينها مستدلين على ذلك – في غالب الأمر – بأمثلة مصطنعة وعبارات متكلّفة، وبين متوسّع في دراستها وشمولية دلالتها متجاوزين حصرها في التقيّد بالضدّ أو الترتيب أو العدد؛ سعيا إلى غايات أسمى ومغزى دقيق يثيره التقابل في كل موضع.

ولهذا جاءت هذه الدراسة تحت عنوان :" أسلوب المقابلة عند البلاغيين بين التَّشدُّد والتَّوسُّع " لترصد ما قرره البلاغيون من اعتماد المقابلة أسلوبا بلاغيا تمتد فيه أساليب التقابل المتنوعة، وهى بلا شك إحدى طرق البيان التي تجد فيها النفوس لذة ومتعة حين تتداعى المشاهد لا على التضاد المباشر فقط بل على المعاني المعاكسة بما فيها من ثنائية وتضاد، ولا شك أن تتبع رؤى البلاغيين – في تناولهم لهذا الفن ومناقشتها – يعطينا الفرصة لاستخلاص المنهج الأمثل من طرائق المعالجة، وهو المنهج القائم على التسليم بفكرة النظم كما قررها الإمام عبد القاهر.

والدراسة في سعيها لتحقيق هذه الغاية جاءت في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين: تناولت المقدمة أهمية الموضوع وخطة السير فيه، أعقبها تمهيد عن مفهوم المقابلة في اللغة وعند البلاغيين، ثم تلا ذلك مبحثان: رصد الأول منهما منهج المتشددين في تضييق مفهومها، وهو منهج السكاكي والخطيب ومن تابعهما ممَّن قصرَ مفهوم المقابلة على الألفاظ المتضادة المتساوية العدد المنظومة على الترتيب، وشَفَّ الثاني عن لون آخر من التناول لا يعنيه الوقوف عند حد التقسيم أو التفريع، وإنما يعنيه القيمة الجمالية والتعبيرية لهذا الفن؛ ولهذا اتسع مفهوم المقابلة عندهم ليشمل المقابلة المعنوية والمقابلة بالموازنة، والازدواج ،والمقابلة بالالتزام، ومقابلة الفعل بالفعل، ومقابلة الشيء بمثلة، وغيرها من أنماط وموازنات مختلفة لم تكن أطرافها متضادة المعاني أو متساوية العدد، أو منظومة على الترتيب، ثم جاءت الخاتمة لتكشف عن نتائج الدراسة وترصد أهم معالمها، ثم أعقب ذلك ثَبَتٌ بمصادرها ومراجعها.

والله ــ تعالى ــ أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مفهوم المقابلة في اللغة وعند البلاغيين

المقابلة في اللغة:

تدور مادة (ق ب ل) في معاجم اللغة حول: المواجهة والمعارضة، وقد تنوعت المعاني المشتقة من هذا الأصل إلا أنها تلتقى حول هذا المعنى، يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ه):"والقِبَلُ :الطّاقة؛ تقول: لا قِبَلَ لهم؛ أي: لا طاقة لهم؛ قال الكميت:

ومُرْصِدٍ لك بالشَّحْنَاء ليسَ لهُ بالسَّجلِ منكَ إذا واضَحْتَه قِبَلُ

أي: طاقة. والقِبَلُ هو: التِّلقَاءُ؛ تقول: لقيتُه قِبلًا؛ أي: مواجهة، وأصيب هذا من قِبَله أي من تلقائه ومن لدنه" [1] ومعنى الطاقة لا يخلو من مقابلة طاقة لأخرى، ففيه أيضا معنى المواجهة؛ يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) :"القاف والباء واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ تدلُّ كَلِمُه كلُّها على مواجهةِ الشَّيء للشَّيء، ويتفرع بعد ذلك"[2].

وجاء في المحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) :وقابَل الشَّيءَ بالشَّيءِ مُقابلةً وقِبالًا: عَارَضه، ومقابلةُ الكِتاب بالكتاب، وقِبالُه به: معارضته، وتقابَل القومُ: استقبلَ بعضهم بعضًا، والتق--ابلُ نقي-ض التدابر، ومنه ق-وله - تعالى - في وصف أهل الجنة ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: ٤٧]؛ أي: لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض[3] فهم متقابلون في جميع أحوالهم؛ لأن الأسرّة -كما ذكر أهل التفسير -تدور بهم حيثما داروا، وهو أدخ-ل في التّأنُّ-س بالرُّؤي-ة والمحادثة[4] وفي أساس البلاغة:"أصبتُ هذا من قِبَلِك؛ أي: من جِهَتِكَ وتِلْقائك، ولقيته قِبَلًا وقَبَلا وقُبَلا : مُواجهةً وعِيانًا"[5] وفى القاموس المحيط : "قابَلَهُ :وَاجَهَهُ ....وتقابلا تواجها"[6] وفى لسان العرب :"المقابلة المُواجَهة، والتَّقابلُ مِثْلُهُ ... وهو قَبالُك وقُبَالتُك؛ أي: تُجاهك "[7] ومن تتبُّع معاني الكلمة في المعاجم

(١) كتاب العين (قبل) ١٦٦/٥بتحقيق/مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال.

(٢) معجم مقاييس اللغة (قبل) ٥١/٥ باب القاف والباء وما يثلثهما، بتحقيق عبد السلام هارون، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

(٣) ينظر :المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (نفس المادة) ٢٦٣/٦ بتحقيق د /عبد الستار أحمد فرّاج معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ، ط الأولى ١٣٧٧-١٩٥٨م.

(٤) ينظر :تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣١٣/٣ ،بتحقيق /عبد القادر أحمد عطا ،مكتبة الرياض الحديثة ،وينظر :تفسير التحرير والتنوير ٥٦/١٤،ط الدار التونسية للنشر

(٥) أساس البلاغة (قبل) ٤٩/٢ بتحقيق /محمد باسل عيون السُّود ،دار الكتب العلمية ،ط الأولى ١٩٩٨م.

(٦) ينظر : القاموس المحيط للفيروزآبادى (نفس المادة) صـ١٣٥١.

(٧) ينظر : لسان العرب لابن منظور (نفس المادة) صـ ٣٥١٧ ، ط دار المعارف.

السابقة يتضح لنا أن المفهوم اللغوي للمقابلة يدور حول المواجهة والمعارضة، وإن كانت تتعدى إلى معان أخرى كما ذكر الخليل وابن سيده إلا أنها تلتقى حول ذلك المعنى.

المقابلة في الاصطلاح البلاغي:

للمقابلة عند البلاغيين تعريفات متعددة، تلتقى جميعها حول المعنى العام للمقابلة، وهو الجمع بين شيئين على جهة الموافقة أو المخالفة، إلا أن كلَّ تعريف منها أثار جانبا معينا في مفهومها، وسوف نعرض بعض هذه التعريفات كي نتبيَّن الجهات التي تميّز بها كلُّ تعريف:

عرَّفها قدامة بن جعفر " بأن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفى المخالف بما يخالف، على الصحة أو يشترط شروطا، ويعدّد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدّده، وفى ما يخالف بضد ذلك "(١).

واستمد أبو هلال العسكري بعض تعريف قدامة فذكر أنها عبارة عن "إيراد الكلام، ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"(٢).

وحدَّها ابن رشيق بأنها عبارة عن "ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفى المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في أضداد، فإذا جاوز الطباق ضدَّيْن كان مقابلة" (٣)

(١) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر، بتحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي صـ١٤١ ،مكتبة الكليات الأزهرية ،ط الأولى ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر بتحقيق /محمد على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم صـ٣٣٧ ،ط المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بتحقيق/محمد محيى الدين عبد الحميد١٣/٢ ، ط دار الطلائع.

وعرّفها ابن سنان الخفاجي أن "يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، والمخالفة؛ فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصّحة، والأصل في هذه المناسبة، فإن لها تأثيرا قويا في الحسن"(١).

وقد أضاف إليها السَّكاكي قيْدا آخر فعرَّفها بأن " تجمعَ بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضدَّيْهما، ثمّ إذا شَرَطْتَ هنا شرطا شرطت هناك ضده "(٢).

وانتهج ابن أبى الإصبع نَهْج قدامة وابن سنان وابن رشيق فذكر أنها عبارة عن: " توخّى المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخْرِم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخلَّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد" (٣).

وبالنظر إلى هذه التعريفات نجد أنها قد اجتمعت على المعنى العام للتقابل، وهو الجمع بين شيئين فأكثر على جهة الموافقة أو المخالفة تحقيقا لمقاصد سامية ومعانٍ مرادة؛ ولهذا لا نستطيع أن نحكم على أيٍّ منها أقرب وفاء بمضمون المقابلة؛ لتفرد كلّ تعريف منها بجانب يُضِيءُ مفهومها بنظرة موسّعة، وهذا ما سنوضحه في أثناء هذا البحث بإذن الله – تعالى –.

(١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي بتعليق الشيخ /عبد المتعال الصعيدي، صـ٣١٢،٣١٣ مكتبة محمد على صبيح وأولاده ١٣٧٢هـ١٩٥٢م.

(٢) مفتاح العلوم للسَّكاكي بتعليق /نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٧م.

(٣) بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصري ،بتحقيق د/حفني شرف صـ٧٣ ،مكتبة نهضة مصر ،ط الأولى ١٣٧٧هـ١٩٥٧م.

المبحث الأول :التشدُّد في تحديد مفهوم المقابلة

ذهب السَّكاكي وتابعه الخطيب القزويني ومن لفَّ لفَّهما وسلك سبيلهما إلى قصر المقابلة على الأضداد فحسب، فمدار المقابلة عندهما على الجمع بين المعاني المتوافقة وما يقابلها على الترتيب؛ ومن ثمَّ فإنَّ المقابلة عندهما لا تتحقق بغير الأضداد وما يلحق بها، وهذا بلا شك سيترتب عليه خروج شواهد كثيرة من باب المقابلة خالفت هذا الشرط ؛كالمقابلة المعنوية، والموازنة ومقابلة المواقف، وغيرها مما جاوزت فيه المقابلة التقيُّد بالضّدّ، أو لم تلتزم به.

هذا وإن كان فيه دقّة للأقسام وضبط للقواعد البلاغية إلا أنه بعيد عن واقع النصوص العربية، وفى مقدمتها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأدب العربي شعره ونثره، فالنظم القرآني وهو المثل الأعلى في الفصاحة والبلاغة حافل بالمشاهد المتقابلة، ولم يكن في أكثرها تقابل بين الألفاظ كما سنوضح في هذه الدراسة بإذن الله ــ تعالى ــ.

تعريف المقابلة عند الخطيب (ت: ٧٣٩ه):

سلك الخطيب القزويني[١] مسلك السَّكاكي في دراسة المقابلة فعرفها :" بأن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب"[٢].

وفى هذا التعريف يشترط الخطيب لتحقق وجود المقابلة أمرين :

أولهما – تحقق جانب التوافق بين المعاني المتقابلة، وثانيهما ــ ترتيب تلك المعاني بحيث يقابل الأولُّ من الطرف الأولِّ الأولَّ من الطرف الثاني، والثاني من الطرف الأولِّ يقابل الثاني من الطرف الثاني ...إلخ.

(١) آثرنا تعريف الخطيب باستقلال هذا العنوان ؛لأنه يمثل منهجا مستقلا لدراسة المقابلة يخالف به جمهور البلاغيين.

(٢) الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ٣٥٣، ط دار الكتب العلمية بيروت .

والمراد بالتوافق ــ كما فسَّره الشرّاح – عدم التَّقابل وعدم التَّنـــافي، فيشمل المتناسبيْن كالشمس والقمر، ويشمل المتماثليْن في أصل الحقيقة مع عدم التناسب في المفهوم كمصدوق القائم والإنســـان، ويشـــمل الخلاقيّـــيْن كالإنسان والطائر، وكالضحك والقلة، فإنهما غير متماثليْن وغير متناسبيْن(١).

هل المقابلة فرع الطباق أو هي قسم قائم بذاته؟

اختلف البلاغيون في التفرقة بين الطباق والمقابلة، فقد ذهب السّكاكي إلى جعل المقابلة لونا مستقلا من ألوان البديع؛ ولهذا درسها في باب خاصّ مستقلّ عن الطباق(٢) وتابعه في ذلك العلامة عبد الحكيم السّـــيالكوتي فـــي حاشيته على المطوّل وعلّل ذلك بقوله مفرقا بين الطباق والمقابلة: "لا يخفى أن في الطباق حصول التوافق بعد التنافي؛ ولذا سمى بالطباق، وفى المقابلة حصول التنافي بعد التوافق؛ ولذا سمي بالمقابلة وفى كليهما إرادة المعنيـــين بصورة غريب--ة، فكل منهما محسّنٌ بانفراده، واستلزام أحدهما للأخـــر لا يستلزم دخوله فيه، فالحق مع السّكاكي – رحمه الله تعالى ــ "(٣).

وفرَّق ابن أبى الإصبع بينهما من وجهين:-

الأول – أن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدين، أما المقابلة فتكون غالبا بالجمع بين أربعة أضّداد، ضدّان في صدر الكلام وضدّان في عجزه، وقد تصل إلى الجمع بين اثنى عشر ضدا؛ ستة في الصدر وستة في العجز.

الثاني – أن الطباق لا يكون إلا بالأضـــداد، أمـــا المقابلـــة فتكـــون بالأضداد وبغيرها، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم موقعا، وعندما

(١) ينظر :الايضاح صـــ٣٥٣ ،وحاشية الدسوقي ضمن شروح التلخـــيص ٢٩٧/٤ ط دار البصـــائر ،بدون تاريخ.

(٢) ينظر :مفتاح العلوم صـــ٤٢٤.

(٣) حاشية السيالكوتي على المطول للعلامة عبد الحكيم السيالكوتي بتحقيـــق /محمـــد الســـيد عثمـــان ٤٣٧/٢ ،دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤٣٣هـــ٢٠١٢م.

تكون المقابلة بغير الأضداد فلابد أن يكون هناك اعتبار للتقابل على نحو ما[١].

وقد خالف الخطيب القزويني صنيع السّكاكي فجعل أسلوب المقابلة قسما من أقسام الطباق وداخلا في بابه، وعبارته في ذلك :"ودخل في المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة "[٢].

وظاهر عبارته أن الطباق أصلٌ، والمقابلة جزء منه، فبينهما عموم وخصوص، وقد ورد في كلام الخطيب ما يوهم التعارض، حيث ذكر بعد تعريفه للمقابلة مباشرة هذه العبارة "وقد تتركب المقابلة من طِبَاقٍ، ومُلْحَقٍ به"[٣] فهو يجعل – في عبارته الأولى – الطباق أعمّ، والمقابلة متفرعة عنه، وفى عبارته الثانية يجعل المقابلة هي الأعمّ، والطباق متفرعا عنها.

وقد وقف الشرَّاح أمام عبارتي الخطيب بالتفسير والتحليل لدرء هذا التناقض الذى فُهِم من ظاهر عبارتيه والتوفيق فيما بينهما، حيث ذكر بهاء الدين السُّبكي ما يزيل هذا اللبس ويؤكّد أصالة الطباق –في عبارتي الخطيب –وتفرُّع المقابلة عنه؛ فقال: "فإن قلت: إذا كان التقابل المراد أخصَّ من الطباق، فكيف يدخل في الطّباق؟ والأخصُّ لا يدخل في الأعمِّ، بل الأعمُّ يدخل في الأخصِّ؛ قلت :كثيرا ما يقال عن الفرد إنه داخل في الجنس، والمراد إعلام أنه فرد من أفراد الجنس غير خارج عنه، لم يريدوا دخول النوع بجميع أجزائه بل دخول ما فيه من حصّة الجنس"[٤].

وحاصل ما ذكره السُّبكي أنه لا تناقض بين العبارتين، بل إن العبارة الثانية تؤكد الأولى في جعل المقابلة متفرعة عن الطباق باعتبارها جمعا للمتقابلين؛ فالطباق جنس والمقابلة بعض أفراده؛ ولهذا يجرى عليها ما

(١) ينظر :بديع القرآن صـ٧٣.

(٢):الايضاح صـ٣٥٣ ،وينظر :شروح التلخيص ٢٩٧/٤.

(٣) السابق صـ٣٥٤.

(٤) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢٩٧/٤.

يجرى على الطباق من مجيء الضّديْن متقابليْن تقابلا حقيقيا، أو تقابلا خفيا يحتاج إلى تأويل، وهو الذى جعله الخطيب ملحقا بالطباق.

وإذا كان الخطيب قد ذهب إلى أصالة الطباق وجعل المقابلة جزءا منه فإن بعض البلاغيين كابن حجة الحموي جعل المقابلة أعمّ من الطباق؛ فالمقابلة أصلٌ والطباق فرعٌ، وفي ذلك يقول:"المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح؛ فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهى التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق"(١)

والذى نرتضيه من هذه الآراء هو جعل المقابلة لونا مستقلا بعيدا عن الطباق مستأنسين بصنيع السَّكاكي، وإن كانت المقابلة – في الأصل – مبنية على الطباق كما بُنيت الاستعارة على أصلها التشبيهي، فأسلوب المقابلة يثير العقل والنفس لعقد مقارنة بين صورتين متناقضتين على نحو يبرز الغرض من الكلام، فهي تحقق للأديب كثيرا مما يرمى إلى تحقيقه، فضلا عن أن تعدُّد المقابلات في الأسلوب الواحد فيه شيء من التنظيم والرصف الذى لا يكون في الطباق؛ ولهذا استخدمه القرآن الكريم، وجعله أداة فنيَّة لإبراز التناقض في المواقف والأفكار والأحداث.

تقسيم المقابلة عند الخطيب:

خصَّ الخطيب القزويني اسم المقابلة بالإضافة إلى العدد الذى وقعت عليه المقابلة؛ مثل: مقابلة الاثنين بالاثنين، ومقابلة الثلاثة بالثلاثة، والأربعة بالأربعة إلى غير ذلك(٢).

<u>أولا – مقابلة اثنين باثنين:</u> واستشهد لها الخطيب بما جاء في قوله – تعالى –: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [التوبة:

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب شرح عصام شعيتو صـ١٢٩ دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط الأولى ١٩٨٧م.

(٢) ينظر :المطّول شرح تلخيص مفتاح العلوم تأليف سعد الدين التفتازاني بتحقيق د/عبد الحميد هنداوي صـ٦٤٣، دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

٨٢] أتى (بالضحك والقلة) وهما متوافقان، ثم أتى (بالبكاء والكثرة) وهما مقابلان لهما، حيث قابل الأول من الطرف الثاني وهو البكاء بالأول من الطرف الأول وهو الضحك، وقابل الثاني من الطرف الثاني وهو الكثرة بالثاني من الطرف الأول وهو القلة.

والملاحظ أن الخطيب لم يلتفت إلى بيان القيمة الفنيّة أو التعبيرية للمقابلة في الآية الكريمة، وأرى أن وقوفه عند حدِّ المقابلة وانشغاله بتقسيماتها وتفريعاتها وحصر صورها هو الذى حجبه عن ذلك؛ ولهذا توارت الأمثلة دون التعليق عليها وإظهار مدى إسهامها في سبك المعنى وإنتاج الدلالة.

ولو نظرنا إلى شيء من فيض أنوارها في الآية الكريمة لوجدنا أن لها دورا بارزا في الكشف عن حال هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ففرحوا بالقعود وكرهوا الجهاد مع رسول الله ﷺ ولما كان المقام يعالج فئة من البشر انحرفت بسلوكها عن جادة الطريق جاء الأسلوب قويا مبنيّا على هذا التقابل العجيب في سياق التهديد والوعيد، فقد أخرج الخبر مخرج الإنشاء ليظهر الفرق الهائل بين عاجل أمرهم وآجله، ويشير إلى أن هذا الضحك القليل يعقبه كثير من الأحزان، وقد روى -كما جاء في الكشَّاف -أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا، لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم(١).

ومن الدقة في التعبير القرآني أن يأتي الخبر في صورة الأمر؛ إذ المعنى :فسيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا؛ للدلالة على أنه أمرٌ حتميٌّ لابد من وقوعه، وخروجه عن غرضه الأصلي – هنا – يفيد التهديد، ويتعانق مع هذا الغرض مجيء (الضحك)كناية عن فرحهم القليل في الدنيا، ومجيء

(١) ينظر :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة /جار الله أبى القاسم محمود عمر الزمخشري، بتحقيق /الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ /على محمد معوض ٣/٧٦مكتبة العبيكان، ط الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

(البكاء) كناية عن غمّهم الدائم في الآخرة، وهاتان الكنايتان دليل قوى على صحة دعوى سرورهم المؤقت وحزنهم المستمر.

وبناء الآية على أسلوب المقابلة متناسق أيضا مع هاتين الكنايتين؛ لأنه لما كان الضحك هو غاية السرور في الدنيا جيء بالبكاء الذى هو غاية الحزن في الآخرة، ولما كان التمتع في الدنيا بالقياس إلى الآخرة قليلا جيء بكثرة البكاء في الآخرة؛ لأنهم أغفلوا ذكر حرّها وأهملوا الاتقاء من شديد سعيرها.

وقد استشرف الإمام البقاعي وجها آخر لهذا التقابل معلّلا كثرة بكائهم بأنهم "استبدلوا بحرّها العظيم حرّ الشمس الحقير"(١) ومن ثمّ تفاعلت المقابلة واشتركت مع السياق في إثبات تلك الحقيقة الكائنة.

ومما استشهد به الخطيب لمقابلة الاثنين بالاثنين قول النبيّ ﷺ "**إنّ الرّفْقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إلاّ زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلاّ شَانَهُ**"(٢) لم يوضح الخطيب موضع المقابلة في الحديث الشريف، ولكنه اكتفى بإيراده شاهدا على مقابلة الاثنين بالاثنين.

ومن لطيف النظم في هذا الحديث الشريف قيامه على أسلوب المقابلة، فالفكرة العامة التي قام عليها هي الدعوة إلى الأناة ولين الجانب وخفض الجناح والترغيب في ذلك وإشاعته في كل مناحي الحياة؛ وقد نهضت المقابلة بتأكيد هذه الفكرة وتعميق معناها عن طرق المقارنة بين الضّدين، ويتمثل ذلك في مقابلة الأول من الطرف الثاني (لا ينزع من شيء) بالأول

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي ٥٦٤/٨ ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. وقد ورد النص المذكور بهذه الصيغة (استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير) ، والصواب ما أثبته؛ لأن الباء في هذا الأسلوب تدخل على المتروك مثل قوله تعالى:﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].

(٢) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم كتاب البّر والصّلة والآداب، باب :فضل الرّفق ،صـ٩٧٥ ،برقم ٦٦٠٢.

من الطرف الأول (لا يكون في شيء) والثاني من الطرف الثاني (شانه) بالثاني من الطرف الأول (زانه).

ومن المقابلات الدقيقة التي استشهد بها الخطيب وهى من مشهور شواهد البلاغيين في هذا الباب قول النابغة الجعدي :

فَتَىً تَمَّ فيه ما يسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأعَادِيَا

وقول الأخر :

فَوا عَجَبًا! كَيْفَ اتّفَقْنَا؟ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ،وَمَطْوِيٌّ عَلَى الغِلّ غَـادِرُ

لم يعلق الخطيب على المقابلة في البيت الأول؛ لوضوحها وعدم التباسها؛ فقد قابل الشاعر بين قوله:يَسُرُّ صَدِيقَهُ، وبين:يَسُوءُ الأَعَادِيَ؛ وذلك لأنه جعل ممدوحه جامعا لخصلتي الخير والشرّ، فمورد الخير فيه سروره لأحبابه وأصدقائه، ومورد الشر عنده إساءته لأعدائه؛ ومن هنا حَسُنت المقابلة ووقعت موقعها من البيان.

ولم يَزِدْ الخطيب في التعليق على البيت الثاني غير قوله:"فإنّ الغِلَّ ضدّ النُّصْح والغدر ضد الوفاء"(١) وهذه نظرة موجزة تتناسب مع منهجه في لمّ شعث ما تفرّق من علوم البلاغة وتحديد مصطلحاتها وأقسامها، أما التفصيل والتحليل فقد فتئ به من جاؤوا بعده من أقطاب البيان؛ ولهذا نرى زكى الدين بن أبى الإصبع يستخدم عبارة الخطيب ويزيدها بما يوضح أطراف هذه المقابلة؛ فيقول:"فإن الشاعر لما قدّم ذكر النّصْح والوفَاء في صدر البيت قابلهما بذكر الغلّ والغدر في عجزه على الترتيب؛ لأن الغِلَّ ضدّ النُّصْح والغدر ضد الوفاء"(٢).

(١) الإيضاح :صـ٣٥٤.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، بتحقيق د /حفني شرف صـ١٨١ ،ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٦هـ١٩٩٥م.

وقد استحسن ابن رشيق هذه المقابلة وجعلها مثالا يحتذى للمقـــابلات الصحيحة؛ لمراعاة الترتيب بين المتقابلات(١)بينما نظرَ إليها قدامة على أنها صفة معنوية باعتبارها أحد نعوت المعاني التي ذكرها، ولم ينظر إليها مـــن الناحية اللفظية كما نظر إليها الخطيب، فهي عنده معنى إزاء معنى، وليست مجرد لفظ يقابل لفظا؛ ولهذا نراه يعلق عليها بقوله:"فقد أتى بإزاء كـــل مـــا وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه، حيث قال بإزاء: ناصح مَطْويّ على الغل، وبإزاء: وفيّ غادِر"(٢).

ثانيا – مقابلة ثلاثة بثلاثة: واستشهد لها الخطيب بشاهدين من الشعر اكتفى بإيرادهما دون أن يعلق عليهما، أولهما: قول أبى دُلامـــة وهـــو مـــن مشهور شواهد البلاغيين في باب المقابلة(٣):

مَا أَحْسَنَ الدّيْنَ والدُّنْيَا إذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَـــحَ الكُفْرَ وَالإفْلاسَ بالرَّجُلِ

والثاني: قول أبى الطيب :

فَلا الجُودُ يُفْنِى المَالَ وَالجَدُّ مُقْبِلُ ولا البُخْلُ يُبْقِى المَالَ وَالجَدُّ مُدْبِرُ

ولو نظرنا إلى طرفي المقابلة في بيت أبى دُلامـــة نجـــد أن طرفهـــا الأول(أحسن –الدين– الدنيا) وطرفها الثاني (أقبح – الكفـــر – الإفـــلاس) قابل أقبح بأحسن والكفر بالدين، والإفلاس بالدنيا على اعتبـــار أن المـــراد بالدنيا اليسار؛ ولذا قوبل الإفلاس به، وجاءت كلمة الرَّجُـــل – كمـــا ذكـــر العصام– من باب التغليب؛ إذ حديث المرأة معلوم بطريق الأولى؛ لأنه إذا لم يدفع قبح الكفر والإفلاس كمال الرجل برجولته كيف يدفعه نقصان المـــرأة

(١) ينظر :العمدة ١٣/٢.

(٢) نقد الشعر صـــ١٤١.

(٣) جاء في معاهد التنصيص: أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دُلامة عن أشعر بيت قالته العرب فـــي المقابلة، فقال: بيت يلعب الصبيان به، قال: وما هو على ذاك؟ قال: قول الشاعر :...وأنشده البيت ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي، بتحقيق /محمد محي الدين عبـــد الحميـــد ٢٠٧/٢، ط عالم الكتب ١٣٦٧هـــ١٩٤٧م.

لكونها امرأة [١] وقد أشاد ابن أبى الإصبع بالمقابلة في بيت أبى دُلامة؛ لأنه جمع مالم يجمعه بيْتٌ قيل قبله في التقابل، ولا خلاف في أنه لم يقلْ قبله مثله[٢].

أما المقابلة في بيت أبى الطيب فطرفها الأول (الجود – يفنى – مقبل) وطرفها الثاني (البخل– يبقى– مدبر) قابل الأول من الطرف الثاني (البخل) بالأول من الطرف الأول (الجود) وقابل بين الثاني من الطرف الثاني (يبقى) بالثاني من الطرف الأول (يفنى) وقابل بين الثالث من الطرف الثاني (مدبر) بالثالث من الطرف الأول (مقبل).

ثالثا – مقابلة أربعة بأربعة: واستشهد لها الخطيب بشاهد واحد وهو قوله –ـ تعالى –ـ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل: ٥–١٠] لفت الخطيب في تعقيبه على المقابلة في الآية الكريمة إلى وجه التقابل بين ﴿**اسْتَغْنَى**﴾ و ﴿ **اتَّقَى** ﴾ مشيرا إلى أن ذلك من قبيل الطباق المعنوي، أو ما سمّاه (ملحقًا بالطباق) إذ المقابلة تتكون عنده من طباق وملحق به، على نحو ما بيّنا، وفى هذا يقول :"فإنّ المراد بـ ﴿**اسْتَغْنَى**﴾ أنه زَهِدَ فيما عند الله كأنه مُسْتغنٍ عنه؛ فلم يتَّقِ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة؛ فلم يَتَّقِ "[٣].

ومن ثمّ يكون قوله ﴿**بَخِلَ**﴾ مقابلا لـ ﴿**أَعْطَى**﴾ و ﴿**اسْتَغْنَى**﴾ مقابلا لـ ﴿ **اتَّقَى**﴾ و ﴿ **كَذَّبَ**﴾ مقابلا لـ ﴿**صَدَّقَ**﴾ و ﴿**لِلْعُسْرَى**﴾ مقابلا لـ ﴿**لِلْيُسْرَى**﴾ وأرى أن ما ذكره الخطيب في توجيه التقابل بين ﴿ **اسْتَغْنَى**﴾ و ﴿ **اتَّقَى**﴾ بأن معناه: استغنى عن الله أو استغنى بشهوات الدنيا كان في غاية الدقة والإحكام؛ لما يترتب عليه من إظهار الفرق الشاسع بين الفريقين

(١) ينظر: الأطول شرح مفتاح تلخيص العلوم للعلامة عصام الدين بن عربشاه، بتحقيق د/عبد الحميد هنداوي صـ٣٧٨ دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: تحرير التحبير صـ١٨١.

(٣) الإيضاح صـ ٣٥٤.

أهل الفلاح وأهل البوار دنيا وآخرة، فمن وفقه الله للصلاح في الدنيا كان في الآخرة من الفالحين، ولعل إظهارَ هذا الفرق الذى كشفت عنه المقابلة ووفّت بجوانبه يلتقى مع قول الله – عز وجل – في البدء ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾.

قيد السّكاكي في المقابلة:

أضاف السّكاكي قيدا في تعريفه للمقابلة، وهو أنه إذا شُرِطَ شرْطٌ في معانى الطرف الأول فلابد أن يشترط في معانى الطرف الثاني شرطٌ ضده، وإذالم يشترط شرطٌ في الأول لم يشترط في الثاني، وعبارته في ذلك " ثُمّ إذا اشترطْتَ هُنَاك شَرْطًا شَرَطْتَ هُنَاك ضدّهُ " [1] وذلك كما في قوله تعالى – في الآية السابقة– :﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ فإنه لما جعل التيسير مشتركا بين (الإعطاء والاتقاء والتصديق) جعل ضده التعسير مشتركا بين أضداد تلك المعاني وهى (المنع والاستغناء والتكذيب)[2].

موقف الخطيب من قيد السَّكاكي:

نقل الخطيب قيد السَّكاكي ونسبه إليه في نهاية بحثه عن المقابلة دون أن يعلّق عليه؛ فهل معنى ذلك أنه ارتضى شرط السّكاكي، وأقرَّ به؟! في حين أنه قد استشهد ببيت أبى دُلامة السابق:

مَا أَحْسَنَ الدّيْنَ والدُّنْيَا إذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الكُفْرَ وَالإفْلاسَ بالرَّجُل

مع أنه لا يتحقق فيه هذا الشرط؛ لأنه اشترط في الدين والدنيا (الاجتماع) ولم يشترط في الكفر و الإفلاس شرطا ضدّه؛ وبهذا لا يتحقق شرط المقابلة عند السكاكي في هذا البيت، أما الخطيب فلم يعتد بهذا القيد، وأدرج البيت في مقابلة الثلاثة بثلاثة كما أشرنا من قبل، فهل يمكن أن يعُدَّ ما فعله الخطيب خلطا واضطرابا وقع فيه، ومخالفة صريحة لما نقله عن أستاذه السكاكي ؟.

---

(١) مفتاح العلوم صـ٤٢٤.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

أرى أن ذلك لا يعدُّ خلطا أو اضطرابا في منهج الخطيب، فهو يقدر أستاذية السَّكاكي له، ويعترف بفضله، ويستشهد بأقواله، ويحتفل بمنهجه، وكثيرا ما يذكر رأيه ورأى غيره في تلخيصه، ويرجح رأى غيره، وهذه سمة من سمات شخصيته"[١] ولكن ليس من شأن التلميذ أن يرتضى كل آراء أستاذه بالقبول.

ولهذا أرجح أنه نقل نصَّ السَّكاكي بما فيه قيده دون أن يعقّب عليه للعلم والإفادة فقط، لا أن يوافقه في اشتراط هذا القيد بدليل أنه أورد بيت أبى دلامة السابق، ووازن بينه وبيت أبى الطيب الذى أدرجه في مقابلة خمسة بخمسة، يؤيد ذلك ما ذكره بعض الشّرّاح من " احتمال أنه زاد السَّكاكي حكما على القوم، هو أنه يكمل المقابلة بذلك، لا أنه زاد في تعريف المقابلة قيدا "[٢].

رابعا – مقابلة خمسة بخمسة: ويستشهد لها الخطيب بقول أبى الطيب:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي

وهذا الشاهد من أبرز الشواهد التي استوقفت الخطيب فلبث أمامه مليّا، بدءًا من إيراده بلفظة: "قِيْلَ" وانتهاء بموازنته ببيت أبى دلامة السابق، ويبدو أن الخطيب حين ينقل عن غيره يفصّل ويوضح وينقد ويبدى رأيه؛ ولهذا نراه يستهل هذا الشاهد بقوله: " قِيْلَ :وفى قول أبى الطيب ــ ويذكر البيت ــ مقابلة خمسة بخمسة، على أن المقابلة الخامسة بين (لي) و (بي) وفيه نظر؛ لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين، فهما من تمامهما "[٣] وقوله: وفيه نظر، وتعليله مجيء اللام والباء بأنهما صلتا الفعلين قبلهما دليل على أنه لم يرق له جعل هذه المقابلة من باب الخمسة بالخمسة، وأن ردّها إلى مقابلة الأربعة أبرُّ رحما بها.

(١) ينظر: الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي د/محمد بركات أبو على صـــ١٧٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٠٣هـــ١٩٨٣م.

(٢) الأطول ١٨٧/٢.

(٣) الإيضاح صـــ٣٥٥.

وقد كان لابن سنان الخفاجي في توجيه هذه المقابلة ملحظٌ آخر؛ هو: أن أصحاب صناعة الشعر لا يجعلون اللّيل والصبحَ ضدين، بل يجعلون ضد الليل النهار، وأكثر ما يقال: الليل والنهار، ولا يقال: الليل والصبح، وبعضهم يقول في هذا طباق محض وطباق غير محض، فالليل والصبح في بيت المتنبي طباق غير محض [1] إلا أن ذلك لم يمنعه من استحسان المقابلة في البيت وجعلها من مقابلات المعاني، وفى هذا يقول:" فهذا البيت مع بُعده من التكلف كل لفظة من ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمنزلة الضدّ: فأزورهم وأنثني، وسواد وبياض، والليل والصبح، ويشفع ويغرى، ولى وبي"[2].

وقد أحسن الخطيب حين نقل الموازنة التي عقدها النقاد بين هذا البيت وبيت أبى دُلامة السابق، ولكنه لم يرجح أحد الرأيين؛ فقال: "وقد رُجّح بيتُ أبى الطيّب على بيت أبى دُلامة بكثرة المقابلة مع سُهولة النظم، وبأن قافية هذا مُمْكنة (متمكنة في موضعها) وقافية ذاك مُسْتَدْعاةٌ (مجلوبة للوزن والقافية) فإنّ ما ذكره غير مُخْتَصّ بالرجال، ورُجِّحَ بيت أبى دُلامة على بيت أبى الطيّب بجودة المقابلة، فإن ضدّ الليل المحض هو النّهارُ لا الصبحُ"[3]

ولعل هذه الموازنة التي نقلها الخطيب تعكس رؤيته المنصفة بحكم عمله بالقضاء، فكل بيت مرجح على صاحبة بفريدة ليست عند غيره، وبهذا يكون الخطيب قد وضع لنا الجانب النظري لأسلوب المقابلة وترك لمن بعده الجانب التطبيقي، وقد أجاد فيه العلماء قديما وحديثا إلا أنه لا زالت المقابلة في حاجة إلى مزيد من تضافر الجهود لبيان قيمتها الفنية والجمالية في النصوص الأدبية.

(١) ينظر: سر الفصاحة صـ٢٣٦.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

(٣) الإيضاح صـ٣٥٥.

المبحث الثاني: التوسع في تحديد مفهوم المقابلة

لما كان أسلوب المقابلة من أبرز أساليب نظم المعاني، وأحد طرق البيان التي تجد فيها المعاني معرضا للوضوح والجمال؛لم تقتصر نظرة البلاغيين على تلك النظرة الضيقة المحصورة في الأضداد كما ذكر السكاكي والخطيب ومن تابعهما، وإنما تجاوز النظر ذلك؛ استنادا إلى واقع النصوص العربية، فقد وردت المقابلة في فصيح اللسان العربي بالأضداد، وغير الأضداد؛ كالمقابلة المعنوية، ومقابلة الموازنة، ومقابلة الفعل بالفعل، ومقابلة الشيء بمثله.

ومقابلة المواقف وغيرها من مقابلات نظر إليها بعض البلاغيين نظرة موسَّعة أسهمت في إغناء مفهوم المقابلة وتوسيع أنماطها، وسنتناول في هذا المبحث دلالات هذا التوسع عند كثير من العلماء الذين خَطَوا بالمقابلة خطوات رائدة.

المقابلة عند قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧ه):

كانت أول محاولة للتوسع في مفهوم المقابلة – فيما أعلم – هي محاولة الناقد العربي القدير قدامة بن جعفر حين أتى بكتابيه " نقد الشعر " و " نقد النثر " فضرب بسهم وافر في تقدم البحث البلاغي وتطوره، وهو من أوائل النقاد الذين تكلموا عن المقابلة وعدّها فنًّا مستقلا بذاته؛ إذ أفرد لها بابا خاصا سمّاه (صحة المقابلة) وذلك في معرض حديثه عن بعض الخصائص الأسلوبية التي ترفع قيمة العمل الأدبي وتزيد من جودته، واختياره لهذه التسمية مناسبٌ لما جاء في تعريفه للمقابلة من ارتباطها بصحة المعاني وقدرة الشاعر على التوفيق فيما بينها، فقد عرّفها بقوله:" أن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة؛ فيأتي في الموافق بما يوافق، وفى المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطا ويعدد

أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الـذى شـرطه وعدّده، وفى ما يخالف بضد ذلك "(١).

ارتباط المقابلة بصحة المعنى:

لا يعتبر قدامة المقابلة مجرد حلية لفظية أو زينة شكلية، وإنما ينظـر إليها باعتبارها قيمة بلاغية وجزءا لا يتجزأ من نسيج العمل الأدبي؛ ولهـذا فهي عنده ترتبط بصحة المعاني، وحسنُها يرجع إلى قدرة الشـاعر علـى اصطفاء تلك المعاني، ومدى قدرته على التوفيق فيما بينها، فهي حينئذ ترتبط بالمعنى أكثر من ارتباطها باللفظ، والمتكلم هو القادر على تجويد هذا اللون البديعي وحسن استخدامه؛ وبهذا يكون قدامة قد وضع الأساس لمن أتى بعده في دراسة هذا الفن، وقد رأينا من البلاغيين – فيما بعد – مَنْ استثمر هـذا المنهج وبنى عليه أغلب نظرته إلى المقابلة.

ولعل ما ذكره قدامة يلتقى مع ما ذكره الإمام عبد القاهر من التركيز على الأثر المعنوي للمقابلة والطباق وسائر فنون البديع، وجعل عليه مـدار الحُسن والقُبْح؛ يقول الإمام :" وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع، فلا شبهة أنَّ الحُسن والقُبْح لا يعترض الكلام بهما إلا مـن جهـة المعـاني خاصّة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نَصِيبٌ، أو يكون لها في التَّحسين أو خلاف التَّحسين تصعيدٌ وتصويبٌ ... وأما التطبيق فأمره أبينُ، وكونـه معنويًّا أجلَى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضدِّه، والتضادُّ بين الألفاظ المركَّبة مُحالٌ، وليس لأحكام المقابلة ثمَّ مجالٌ "(٢).

(١) نقد الشعر صـ١٤١.

(٢) أسرار البلاغة بتعليق الشيخ /محمود شاكر بتصرف صـ٢٠ نشر دار المدني بجـدة ط الأولـى ١٤١٢هـ١٩٩١م.

ويضرب قدامة لذلك بعض الأمثلة يبيّن من خلالها وجه ارتباط المقابلة بالمعاني – في عبارات موجزة – مع مراعاة معنى المواجهة الضدية المستمدة من المعنى اللغوي للمقابلة؛ وذلك كما جاء في قول الشاعر:

تقاصَرنَ واحْلَوْلَيْنَ لي ثمَّ إنّه أتَتْ بعد أيّام طِوالٍ أمرَّتِ

لم يزد قدامة في التعليق على المقابلة في هذا البيت غير قوله:" فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة "[(١)] وهذه العبارة على قصرها استطاعت أن تكشف عما أراد البيان كشفه من تصوير المفارقة التي يريد الشاعر إبرازها، وهى رسم صورتين متناقضتين: صورة القصر والحلاوة في مقابل الطول والمرارة، فعن طريق المقارنة بين الضدين يتضح المعنى ويتأكد في ذهن السامع.

ومن الأمثلة التي أوردها قدامة لصحة المقابلة وجودتها ما جاء في قول الشاعر:

وإذا حَدِيثٌ ساءَني لم أكتئبْ وإذا حَدِيثٌ سرَّني لم أشِرِ[(٢)]

يقول :"جعل بإزاء سرَّني ساءني، وبإزاء الاكتئاب الأَشر، وهذه المعاني في غاية صحة التقابل" [(٣)] ولعله يشير – في عبارته الأخيرة – إلى ما أسّس له وصرَّح به من ارتباط صحة المعاني بصحة المقابلة؛ فالبيان العالي لا يصلح معه التقابل إلا إذا كانت معانيه حرة، تختار من الألفاظ ما تشاء كما في شواهده التي نصبها دليلا على ذلك.

ولم يكتف قدامة بهذه الإشارات المضيئة واللفتات المحكمة، وإنما وقف وقفات رائعة في بيان دقائق الفروق بين ألفاظ المقابلة تمشيا مع الغرض ذاته، وهو استدعاء المعنى لألفاظ دون غيرها كما جاء في تعليقه على صحة المقابلة في قول عقيل بن حجاج:

---

(١) نقد الشعر صـ١٤١.

(٢) لم أكْتئب:لم أحزن، والأَشِر: المرح.

(٣) نقد الشعر صـ١٤١.

تَشُقُّ في حيثُ لم تَبْعُدْ مصعَّدَة ولم تُصــوَّبْ إلى أدْنىَ مَهاويهَا

يقول :"فجعل بإزاء قوله :" تَبْعد مصعدَة " أدنى مهاويها، ولو جعــل بإزاء الإبعاد في الصعود الهوى من غير أن يقول: أدنى المهاوي، لكانــت المقابلة ناقصة كما قال: تبعد، قال: أدنى، ولو قال: " لم تبعد " لقنع منه بأن يقول: تهوى من غير أن يأتي بالدنو"(١).

المقابلات الفاسدة:

إذا كان الأثر المعنوي للمقابلة – في نظر قدامة – هو القائــد إليهــا والدافع نحوها فإنه يورد في موضع آخر من كتابه أمثلة للمقابلات الفاسدة أو ما سمَّاه (فساد المقابلات) وهو أحد عيوب المعاني التي ذكرها، ويشمل كل ما لا ينطبق عليه ما ذكره من صحة المقابلات، وقد ضــبطه بقولــه :" أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إمّا على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه"(٢) لاقتضاء الحال ذكر هــذا المعنى بموافقة أو مخالفة، فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف؛ كما تقول مــثلا: ما صاحبت خيّرا ولا فاسقا، فوجه الكلام أن يقال: ما صــاحبت خيّــرًا ولا شرِّيرًا لتتمَّ الموافقة بين نظم الكلام، وتأتلف الألفاظ مع الحال والمقام، ويمثّل قدامة لهذه الصورة بقول أبى علىٍّ القرشيِّ:

يا ابنَ خَيْر الأخْيَارِ من عبْدِ شَمْسٍ أنــتَ زَيْنُ الدُّنيَا و غيْــثُ الجُنُــودِ

يبيِّن وجه فساد المقابلة في هذا البيت بقوله :"فلــيس قولــه: وغيــث الجنود موافقا لقوله: زين الدُّنيا، ولا مضادا، وذلك عيبٌ"(٣) وفيما ذكره قدامة نظر؛ لأن الشاعر أراد أن يعدد صفات ممدوحه، فقد وصفه بالخيرية وهــى صفة عامة، ثم أراد أن يفصّل تلك الخيرية بأن جعله زينــة للــدنيا وغيثًــا للجنود، وهاتان صفتان تبرزان قيمة الممدوح في نفس الشاعر، فنظم البيت

(١) السابق الصفحة ذاتها.
(٢) السابق صـــ١٩٣.
(٣) السابق صـــ١٩٣،١٩٤.

يتلاقى مع هذا الغرض "ولا يلزم لكل متكلم أن يأتي لكل صفة بما يقابلهـــا، وإن كانت المقابلة أوقع في النفس إلا أن ذلك قد يكون بتكلف ممقوت" (١).

ومما أورده قدامة لفساد المقابلات ما جاء في قول الشاعر:

رحماء لذى الصَّلاح وضَرَّا بُـــونَ قَـــدُمًا لِهَـــامة الصِّـــنْديدِ(٢)

يقول قدامة :" فليس للصنديد في ما تقدم ضد ولا مثل، ولعله لو كان مكان قوله: الصنديد (الشرير) لكان جيدا؛ لقوله: ذي الصلاح" (٣) ويستشـــهد أيضا ببيت امرئ القيس:

فلوْ أنَّها نَفْسٌ تموتُ سَوِيَّةٌ ولكنَّهَا نَف–ـْسٌ تســـاقِطُ أنْفُس–ا(٤)

فيقول:" وللعدول عن هذا العيب غيّر الـــرواة قـــول امـــرئ القـــيس ...فأبدلوا في مكان سوية: جَمِيعَةً؛ لأنه في مقابلة (تساقط أنفسا) أليق مـــن سويِّة"(٥) .

وهو بذلك يشير إلى أن الذى دعا الرواة إلى تغيير هذه اللفظة وقوعها في مقابلة تساقط، فكلمة (سويَّة) لا تقابل – لا عن طريق الموافقة ولا عـــن طريق المخالفة –كلمة (تساقط) التي كن–ى بها عن شدّة الألـــم الذي كـــان يعانيه امرؤ القيس جـــراء القـــروح التي كان–ت بجسده (٦).

---

(١) قراءة جديدة في نقد الشعر لقدامة بن جعفر د/عبد الحليم محمد شادي صـــ١٦٤ .

(٢) الهامة: رأس كل شيء . والصنديد: السيف الشريف.

(٣) نقد الشعر صـــ١٩٣،١٩٤.

(٤) تموت سوية: تموت مرَّة واحدة، ولكنها بغير ذلك فإن المرض ينقصها شيئا فشيئا.

(٥) نقد الشعر صـــ١٩٤، وينظر: الصناعتين صـــ٣٣٩.

(٦) ذكر الرواة أن امرأ القيس أنشده في رحلة العودة بعدما التقى بقيصر الروم طالباً ثأر أبيه، فقبلـــه وأكرمه وزوده بجيشٍ عرمرمٍ ليقتل قتلة أبيه، ولكنه وشى به إلى الملك رجلٌ من بنى أسد يقال له الطمَّاحُ، وكان امرؤ القيس قد قتل أخا له من بني أسد، فقال له: إنَّ امرأ القيسِ غويٌّ عاهرٌ، وإنـــه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعارا يُشَهِّرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك، فبعث إليه حينئذ بحُلَّة وشيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب، وقـــال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبَسْها باليُمْن والبركـــة واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ، فلمَّا وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه الســـم وســـقط جلده؛ فلذلك سمي ذا القروح، وقال في ذلك:

=

من أجل ذلك غيّرها النُّقّاد إلى (جميعةً) لتحدث الموافقة وتصح المقابلة بين اللفظين، ويكون المعنى حينئذ –كما ذكر محقق الديوان – أنــه أراد أن يثبت لنفسه المرض، فنفسه لا تخرج مرة واحدة، ولكنها تموت شــيئا بعــد شيء، على اعتبار رواية (تَسَاقط) بفتح التاء، وأصله تتساقط بتاءين حــذفت إحداهما تخفيفا، وقد رُويت (تُساقِطُ) بضم التاء فيكون المعنى: يموت بموته خلق كثير، فموته ليس موت رجل واحد، بل موتٌ لأفراد قبيلته الذين تعلقت حياتهم به كما في قول عبدة بن الطيب:

فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهدَّمَــا(١)

بهذه الشواهد التي ذكرها قدامة في صحة المقابلات وفسادها يتأكد ما أسس له ودلّ عليه من ربط صحة المقابلة بصــحة المعنــى، وأن المقابلــة الفاسدة ينشأ عنها معنى فاسد، فمن أجل صحة المعنى بدّل الرواة لفظة امرئ القيس كما بينَّا.

المقابلة عند القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ):

في نهاية القرن الرابع الهجري نلتقى بالقاضي المحقق على بن عبــد العزيز الجرجاني وكتابه " الوساطة بين المتنبي وخصــومه " ونجــد فيــه إشارات مضيئة ونظرات قيّمة حول فن المقابلة؛ ولذا فهو يعد مــن أوائــل الأصوات التي نادت بتوسعة دائرة المقابلة وعدم حصرها في مجرد التقابل بين الألفاظ قلّت أو كثرت، يوضح ذلك القاضي الجرجــاني بقولــه:" وأمّــا

=

لقد طمَح الطمَّاحُ من بُعْدِ أرضه ليُلْبِســـني من دائه ما تَلَبَّســا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُــوتُ ســـويةً وَلَكِنَّهَا نَفْـــــسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُســا

فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها ثم مات. ينظر :الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني بتحقيق د /إحسان عباس ٧٤/٩ دار صادر بيروت ط الأولى ١٤٢٣هـــ٢٠٠٢م.

(١) ينظر: ديوان امرئ القيس بتحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم صـــ١٠٧،دار المعارف ط الخامسة، وينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي بتعليق غريد الشيخ صـــ٥٦٢،دار الكتــب العلميــة ط الأولى ١٤٢٤هـــ٢٠٠٢م .

المطابقة[١] فلها شعبٌ خفيّة، وفيها مكامن تغْمُض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضعٌ هو أملك به"[٢].

وهنا يثير القاضي الجرجاني قضية على قدر كبير من الأهمية، وهى أن التقابل بين الألفاظ له شُعَبٌ متعددة، وتكمن مزية هذه الشُّعب في خفائها وغموضها والتباسها بغيرها من الفنون البلاغية الأخرى، وأنه لا يفطن لهذه الشُّعب الخفيّة إلا أصحاب الذوق العالي والنظر الثاقب والذهن المتمرس، فمثل هذا اللون في حاجة إلى الفكر الطويل والرّوية والتدبر.

ويسوق القاضي الجرجاني عددا من أمثلة المطابقة التي يدقُّ فهمها؛ لاختلاطها بالمجاز، وهى من مشهور شواهد البلاغيين في المطابقة؛ نستعرض منها قول دعبل الخزاعي:

لا تَعْجَبي يَا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسهِ فبكَى

فالمطابقة هنا خفيّة تحتاج إلى تدبّر وتأمّل وإعمال فكر وتحريك خاطر؛ لأنها اقترنت بالمجاز في قوله: "ضحك المشيب" فقد جمع بين الضحك والبكاء، والمقصود من ضحك المشيب هو: ظهوره وانتشاره، وهذا المعنى المقصود لا يضاد البكاء، ولكن الذى يضاده هو: المعنى الحقيقي للضحك، وهذا ما أطلق عليه البلاغيون " إيهام التضاد "، وهو: ما يكون فيه التقابل بين المعنيين الأصليين دون المعنيين المرادين، فالمعنيان المرادان لا تضاد بينهما؛ وإنما يتوهم التضاد من ظاهر اللفظين باعتبار معنييهما الأصليين [٣].

(١) على اعتبار أن المقابلة من الطباق.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه بتحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي صـ٤٧ المكتبة العصرية، ط الأولى ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

(٣) ينظر : مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص ،ط دار البصائر ٢٩٦/٤.

وهذا ما فصّله البهاء السبكي بقوله: "فإنه لا تضاد بين الشيب الذى هو ضحك المشيب وبين البكاء بل هما متناسبان، إلا أنه لما كان الضحك الحقيقي معناه السرور أوهم باستعارته للمشيب أنه ضحك حقيقة، فقابله بضد الضحك الحقيقي وهو البكاء "(١).

المقابلة عند أبى هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ):

نلتقى أيضا في نهاية القرن الرابع الهجري بأبي هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين: الكتابة والشعر) وهو أحد النقاد الذين اهتموا بجمع ما دوّنه البلاغيون قبله من فنون بلاغية ولمحات تذوقية " فاستقصى في كتابه صور البيان والبديع التي سجلها النقاد وأصحاب البلاغة حتى عصره "(٢).

مقابلة الفعل بالفعل:

لم تقف جهود أبى هلال على الجمع والنقل فحسب، بل امتدت إلى إضافة أقسام وتصنيفات جديدة، من هذه الإضافات ما ذكره في باب المقابلة بما يسمى " مقابلة الفعل بالفعل " وهى أحد أقسام المقابلة عنده(٣) وهى عبارة عن: مقابلة الكلام بمثله في المعنى، وعبارته في ذلك:" فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل"(٤) وهذه العبارة على وجازتها فتحت لنا بابا جديدا لدراسة هذا النوع من المقابلة الذى نبَّه عليه أبوهلال وفتح مغاليقه؛ فكان من بوارق الهداية والتوفيق.

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ،ط دار البصائر ٢٩٦/٤.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ د/شوقي ضيف صـ١٤٦ ، دار المعارف ،ط الثالثة.

(٣) قسم أبو هلال المقابلة إلى ثلاثة أقسام: الأول ـــ مقابلة الكلام بمثله في المعنى؛ وهو مقابلة الفعل بالفعل.والثاني ـــ مقابلة الكلام بمثله في اللفظ ،كما في قول عمر بن كلثوم:

ورِثْنَاهنّ عن آباء صدق ونُورِثُـها إذا مُتـنْنَا بَنِيَنـا

والثالث ـــ مقابلة الكلام بمثله في المعنى واللفظ ،كما في قول الشاعر:

وَمَنْ لو أراه صَاديًا لسقيتُه وَمَنْ لو رَآني صَادياً لَسَقانِي

وَمَنْ لو أراه عانيـاً لَفَـديتُه وَمَنْ رآني عانيًـا لفَـدَانِي

(٤) ينظر :الصناعتين صـ٣٣٧.

ومن المقابلات الدقيقة التي نبَّه عليها أبو هلال ما نجده في قوله – تعالى–: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾ [النمل: ٥٢] يعلق أبو هلال على المقابلة في الآية الكريمة بقوله:" فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم"(١) ونظرة أبى هلال للمقابلة في الآية متعمقة فاحصة؛ لما لها من دور بارز في الكشف عن أثر الظلم في خراب البيوت، وقد جاءت في سياق تأكيد وتقرير ما أحلَّ بِعُتاةِ قوم صالح – عليه السلام – الذين سعوا في عقر الناقة وكذّبوا بآيات الله، فجعل الله إهلاكهم وإبادتهم مقابلا لظلمهم، فخواء البيوت كناية استئصالهم بالعذاب؛ ولهذا ناسب أن تكون هذه المقابلة في سياق التأكيد والتقرير لتدميرهم.

ومن الأمثلة التي أوردها أبو هلال مما يتصل أيضا بعذاب قوم صالح ما جاء في قوله – تعالى –:﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [النمل: ٥٠] أبرز أبو هلال أثر المقابلة بين مكرهم حين قصدوا تبييته والفتك به، وبين مكر الله لهم حين عجَّل بعقوبتهم؛ فقال :"المكر من الله – تعالى – العذاب، جعله الله – عز وجل – مقابلة لمكرهم بآياته وأهل طاعته"(٢) فالمقابلة هنا –كما يفهم من كلام أبى هلال – تشترك مع السياق في إقامة موازنة بين مكر الله ومكرهم، فهي تنبئ باستحضار جنس المكر المسند إلى الله – تعالى – في مقابل مكر البشر، فالمكر المسند إلى الله – تعالى – مكرٌ مجازى استعير لمبادرة الله إياهم بالعقوبة قبل أن يتمكنوا من صالح ــ عليه السلام – وأهله.

وتأسيسًا على ما سبق يورد أبو هلال عددًا من الشواهد القرآنية والشعرية لهذا النوع من المقابلة دون أن يعلق عليها مكتفيا بما ذكره من إيضاح وبيان، كما جاء في قوله – تعالى –: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله – تعالى –: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا**

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) السابق نفس الصفحة.

﴿بِأَنْفُسِهِمْ ١١﴾ [الرعد: ١١] وغير ذلك من النمط العالي المعجز ممَّا يحفل به النظم الكريم، ومما مثَّلَ به أبو هلال لهذا النوع من الشّعر ما جاء في قول تأبَّط شرًّا:

أَهُزُّ بِهِ فِي ندْوةِ الحيّ عِطْفَهُ كما هَزَّ عِطْفِي بالهِجانِ الأوَارِكِ(١)

تأتى المقابلة هنا لتشير إلى ما بين الفعلين المتناسبين " أهزُّ عِطْفَهُ " و " هزَّ عِطْفِي " من أثر محمود لدى طرفي التقابل، ولا شك أن هذه المقارنة اللطيفة بين الفعلين حققت للشاعر كثيرا مما يرمى إلى تحقيقه؛ فالكلام ينصَبُّ نحو هذا الغرض، ولا يخفى ما بينهما من تجانس لطيف جرى بين الفعلين المتوافقين " أهزُ " و" هزَّ " فالمقصود من الأول: تحريك جانب الممدوح بالثناء عليه، والمقصود من الثاني: تحريك الممدوح جانب الشاعر بعطيته له، فالفعلان متحدان في الحروف مختلفان في المعنى، ولهذا يمكن اعتبار الثاني مشاكلا للأول؛ لوقوعه في صحبته وتوفر المناسبة بين الفعلين، وليس بين الوجهين تعارض ولا مانع عندي من إرادتها معا خلافا لبعض البلاغيين الذين ارتأوا عدم التوسع في مفهوم المقابلة؛ لما يترتب على ذلك من خلط بين الفنون البديعية وبعضها البعض(٢).

المقابلة عند ابن رشيق القيرواني (ت :٤٦٣هـ)

تعرض أبو على الحسن بن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقد" للمقابلة، وعقد لها بابا خاصا غير باب المطابقة فوضعها بين التقسيم والطباق، وأنها تتصرف في أنواع كثيرة، وقد عرفها

(١) ندوة الحيِّ: مجتمعه، وعطف كل شيء: جانبه، يقال: ثنى عطفه: إذا أعرض وجفا، الهجان: الإبل الكريمة، والأوارك: التي ترعى شجر الأراك، يقول: أحرِّك بالثناء جانبه كما حرَّك جانبي بعطيته؛ أي: أَسرُّه بذلك حتى يرتاح ويطرب ؛كما سرَّني بالإبل البيض الكرام حتى اهتززت. والبيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، بتعليق: غريد الشيخ ١/ ٧٠، ٧١ دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.

(٢) ينظر :منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبى الحسن حازم القرطاجنى ،تقديم وتحقيق /محمد الحبيب الخوجة صـ٥٤ دار الغرب الإسلامي ط الثالثة ٢٠٠٧م.

بقوله:"وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق بـــه أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفى المخـــالف بما يخالفه، وأكثر ما تجئ المقابلة في أضداد، فإذا جاوز الطباق ضدَّيْن كان مقابلة"(١).

وفى ضوء ما ذكره ابن رشيق يلفتنا أمران:

أولهما – أن حدَّ المقابلة عنده وضعها في منزلة بين التقسيم والطباق، ولعله يشير إلى ما بينهما من ترابط الأسلوب واتحاد أجزائه، فأوله متصـــل بآخره وآخره مرتبط بأوله، وكل من القسمين (الطباق والتقسيم) يعتمد على المقابلة من ناحية وضع أقسام الشيء بعضها بإزاء بعض، فهي متقابلـــة ولا تتم الفائدة إلا بانتهاء الكلام جميعه.

وثانيهما – تفرقته بين الطباق والمقابلة، وأنها تكمن في العدد، فما كان دون الضدين فهو طباق وما تجاوزهما فهو مقابلة، ومنهجه في ذلـــك هـــو منهج قدامة من حيث ارتباط المقابلة بالعدد، ومن حيث بناؤها على المعنـــى أولا.

ويستعرض ابن رشيق أمثلة للمقابلة بين الأضداد، فيستشهد بما أنشده قدامة لبعض الشعراء، وهو:

فيا عَجَبًا كيفَ اتَّفقْنا فَناصِحٌ وفيٌّ ومَطْوِيٌّ على الغِلِّ غَادِرُ؟!

ولم يُبيّن ابن رشيق في تعليقه على هذا البيت سوى موطن المقابلة في إيجاز بليغ؛ فقال:"فقابل بين النُّصْح والوَفاءِ بالغلِّ والغَدْرِ" ولكنه يلفت إلـــى أهمية مراعاة الترتيب بين المتقابلات وأنه ينبني عليه صحة المقابلة، وأنهـــا حينئذ تكون أنموذجا يحتذى، يوضح ذلك بقوله: "وهكـــذا يجـــب أن تكـــون المقابلة الصحيحة، لكنّ قدامة لم يُبالِ بالتقديم والتأخير في هـــذا البـــاب "(٢) ويفهم من عبارته الأخيرة أنه يأخذ على قدامة عدم اعتداده بمراعاة الترتيب

(١) العمدة: ١٣/٢

(٢) العمدة: ١٣/٢.

بين المعاني في باب المقابلة، وأنه ما كان ينبغي له أن يضع مثل هذا المقابلات في مرتبة المقابلات التي روعي فيها وجه الترتيب بين معانيها.

مقابلة الاستحقاق:

يتوسع ابن رشيق في مفهوم المقابلة فيضع كل ما لا يُراعى فيه وجه الترتيب بين معانى المقابلة تحت هذا الاسم، ويضم إليها أيضا المقابلة التي لا تقوم على التضاد، ويمثل للصورة الأولى بما أنشده قدامة للطِّرِمَّاح بن حكيم:

أسَرْنَاهم وأنْعَمْنا عليهم وأسْقَيْنا دِمَاءَهُمُ التُّرَابا

فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عند حربٍ ولا أدَّوْا لِحُسْنِ يَدٍ ثَوَابَا

يقول ابن رشيق :"فقدَّم ذكر الإنعام على المأسورين، وأخر ذكرَ القتل في البيت الأول، وأتى في البيت الثاني بعكس الترتيب، وذلك أنه قدَّمَ ذكرَ الصبر عند بأس الحرب وأخَّرَ ذكرَ الثَّواب على حسن اليد"(١).

وهذا الشاهد من أبرز شواهد المقابلة التي وقف أمامها قدامة بن جعفر دون أن يلتفت إلى ترتيب المتقابلات، بناءً على ما ذكره من اشتراط ارتباط المقابلة بصحة المعاني، وقدرة الشاعر على التوفيق فيما بينها، دون النظر إلى مجيئها مرتبة أو غير مرتبة.

أما ابن رشيق فقد اشترط لصحة المقابلة شرطا آخر، بَنَاهُ على مراعاة ترتيب الألفاظ المتقابلة حسبما يقتضيه نظم المعاني دون أن ينص على ذلك صراحة، ودون أن ينص أيضا على تحديد مفهوم هذا النوع من المقابلة، وعبارته في ذلك: " وهذه عندهم تسمى مقابلة الاستحقاق " (٢) وإشارته تلك ترجع إلى ما ذكره من ترتيب ألفاظ المقابلة حسبما يقتضيه نظم المعنى في بيتي الطِّرِمَّاح السابقين كما لو قيل :"فما صبروا لبأسٍ عند حرب القوم

(١) العمدة :١٣/٢.

(٢) العمدة ١٤/٢.

المأسورين إن لم يُقاتِلوا حتى يُقْتَلوا دون الأسر وإعطاء اليد؛ فإن المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا"[١].

أما الصورة الثانية التي ذكرها ابن رشيق لمقابلة الاستحقاق وجعلها قريبة من الصورة الأولى: أن يكون بين اللفظين مناسبة تجمع بينهما، ومثَّل لها بقول أبي الطيب:

رِجْلاهُ في الرَّكْضِ رِجْلٌ وَاليدَانِ يدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ[٢]

فلما كانت الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل قوبل بينهما، وليس ثمَّة مضادة تجمع بينهما، بل يجمع بينهما المناسبة، ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى كما قال – تعالى –:﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾ [الرحمن: ٤١] وبناء على ذلك يكون ابن رشيق قد أدخل الطباق في مفهوم المقابلة وجعله ضربا منها.

المقابلة الخفية:

ومن المقابلة بغير الأضداد نوع عدّه ابن رشيق من خفي المقابلة؛ فقال:" ومن خفيِّ المقابلة والقسمة قول العبّاس بن الأحنف:

اليَوْمُ مِثْلُ الحَوْلِ حَتَّى أرىَ وَجْهَكَ والسَّاعةُ كَالشَّهْرِ

وهذا مليح؛ لأنّ الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر "[٣] والمقابلة هنا جارية في غير الأضداد بين اليوم والساعة، وبين الحول والشهر، وإن كنت أرى أن بينهما تناسبا وليس تضادا.

(١) السابق ١٤/٢.

(٢) يصف جواده بأنه لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة؛ لأنه يرفعهما معا ويضعهما معا، وكذلك يداه، ثم قال: وفعله ما تريد الكف والقدم؛ أي: أن جريه يغنيك عن تحريك اليد بالسوط والرجل بالاستحثاث. ينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٨٥/٤.

(٣) العمدة ١٥/٢.

المقابلة بالموازنة:

نبّه ابن رشيق إلى أن من المقابلة لونا يختص باسم: الموازنة [1] وهو: ما ليس موافقا ولا مخالفا إلا في الوزن والازدواج، ومثّل له بقول المتنبي:

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيب نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ[2]

وازَنَ قولَه " في حياتك " بقوله " في منامك " وليس بضده ولا موافقه، وكذلك صنع في الموازنة بين " حبيب " و " خيال " وإن اختلف حرف اللين فيهما فإن تقطيعه في العروض واحد[3] وفيما ذكره ابن رشيق من إدخال الموازنة – سواء كانت موازنة صوتية أو عروضية – في باب المقابلة نظر؛ إذ لا يستلزم الإيقاع الصوتي بين " في حياتك " و " في منامك " والتوازن العروضي بين " حبيب " و " خيال " أن يكون بينهما مقابلة؛ فليس ثمّة تضاد أو موافقة، والأولى إدخاله في باب السجع وليس المقابلة.

ومما يتصل بهذا الغرض أيضا ما جاء في بيت ذي الرُّمة الذى ختم به ابن رشيق هذا الباب:

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِم خَبَرًا أَمْ رَاجَعَ القَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ؟

فهو يعتبر المقابلة في هذا البيت من أملح ما رُوِى في الموازنة وتعديل الأقسام، ويجعلها خير ختام لهذا الباب؛ فقوله:" أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ " موازن لقوله " أَمْ رَاجَعَ القَلْبَ "وقوله " عَنْ أَشْيَاعِهِم خَبَرًا " موازن لقوله "

---

(١) الموازنة هي :أن تكون الألفاظ متعادلة الأوزان متوالية الأجزاء؛ بأن تتساوى فواصلها في الوزن دون التقفية، وقد أدخلها الخطيب القزويني في المحسنات اللفظية، وأدخلها ابن الأثير في الصناعة اللفظية. ينظر: الإيضاح صـ٤٠٦، وينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ لابن الأثير ٢٧٢/١ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت ،ط الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٥م.

(٢) يقول: إن حظ الإنسان من وصال حبيبه في حياته كحظه من وصال خياله في منامه، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه، جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه من المنام. ينظر: شرح البرقوقي لديوان المتنبي ١٤١/٣.

(٣) ينظر: العمدة ١٧/٢.

مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ " وكذلك " الرَّكبُ " موازن " للقَلْبِ " وعَنْ " موازن لـــ " مِنْ " وأشْيَاعِهِم " موازن لـــ " أَطْرَابِهِ " وخَبَرًا " موازن لـــ " طَرَبُ "(١).

المقابلة في فكر الإمام عبد القاهر (ت ٤٧١هـ):

هناك مساران في تحديد مفهوم المقابلة عند الإمام عبد القاهر:

أولهما – المقابلة كمصطلح بلاغي وقد تناوله الإمام ضمن فنون البديع إجمالا في مقدمة كتابه أسرار البلاغة؛ فقال:"وأما التطبيق والاستعارةُ وسائرُ أقسام البديع، فلا شبهة أنّ الحُسن والقُبْح لا يعترض الكلامَ بهما من جهة المعاني خاصّةً، من غير أن يكونَ للألفاظ في ذلك نصيبٌ، أو يكون لها في التَّحسين أو خلاف التَّحسين تصعيدٌ وتصويبٌ"(٢).

ولا شك أن المقابلة أحد أقسام البديع، والبديع عنده يشمل كل فنون البلاغة، وقد لفت الإمام إلى ضرورة ربط فنون البديع بالمعاني، فهو لا ينظر إلى المقابلة وكذلك سائر فنون البديع من ناحية اللفظ كما درسها الخطيب ومَنْ تابعه، وإنما ينظر إليها من ناحية المعنى؛ لأن قيمتها راجعة إلى المعنى وليست راجعة إلى اللفظ، ولما كان هناك من فنون البديع ما يُتوهّم أن قيمتها راجعة إلى اللفظ كالجناس والسجع تصدى الإمام عبد القاهر لهذين الفنين، واتخذهما مثالا لتطبيق هذه النظرية، فوفّى كثيرا من جوانبها، وفى النص الذى نقلناه يستوفى الإمام بقية الفنون البلاغية التي يمكن أن تنصرف إلى اللفظ، ويبين أن المقصود بها المعنى؛ كالتطبيق والاستعارة التي يعتبرها الإمام الإطار الذى تظهر فيه البلاغة في أروع صورها، ولم يمثل الإمام للمقابلة باعتبار أن ما ذكره في فنّى الجناس والسجع يقوم دليلا على ما لم يذكره، وأن ما أشار إليه ينطبق عليها وعلى سائر فنون البديع.

(١) ينظر: العمدة ١٨/٢.

(٢) أسرار البلاغة صـ٢٠.

وثانيهما – المقابلة بمعناها اللغوي بمعنى المواجهة بين الأساليب والصيغ المتناسبة؛ لبيان ما بينها من اتفاق أو اختلاف، وهى بهذا المعنى تردّدت كثيرا في كتابيْه "دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة " وقد أبان الإمام عن منهجه في المقابلات بين الأساليب والصيغ، وأنه يعوّل عليها في معرفة ما بينها من فروق في ضوء السياق، وذلك في مستهل كتابه " أسرار البلاغة " فقال:" واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذى ابتدأته، والأساسِ الذى وضعته أن أتوصّل إلى بيانِ أمر المعاني كيف تختلف وتتّفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصّل أجناسها وأنواعها، وأتتبّع خاصَّها ومُشَاعها، وأبيّن أحوالها في كرم منْصبِها من العقل وتمكُّنها في نِصَابه، وقُرب رحمها منه، أو بُعدها حين تُنسب عنه، وكونها كالحَلِيف الجاري مجرى النَّسب أو الزَّنيم الملصَق بالقوم لا يقبلونه، ولا يمتعضون له ولا يَذُّبون دُونه"(١).

وإذا أردنا أنْ نبيّن أنّ المقابلة بين الأساليب هي المعوّل عليه بمعونة السياق في فكر الإمام عبد القاهر فلنأخذ حديثه عن تفاوت حال المشبه به حين يكثُر وجوده أو يندر وجوده، وأن النَادر الوجود أعظم أثرا وأبلغ موقعا، وعظم الأثر وبلاغة الموقع لا تتأتى إلا من خلال المقابلة بين نظم ونظم، يبين الإمام ذلك بقوله:" ثم اعلم أن هذا القسم الثاني الذى يدخل في حيز الوجود يتفاوت حاله، فمنه ما يتسع وجوده، ومنه ما يوجد في النادر، ويَبِينُ ذلك بالمقابلة، فأنت إذا قابلت قوله:

كأنَّ أجْرامَ النجوم لوامعا دُرَرٌ نُثِرْن على بساطٍ أزْرَق

بقول ذي الرّمة (يصف صاحبته ميًّا):

كحلاءُ في بَرَج صفراء في نَعج كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

علمت فضْلَ الثّاني عَلى الأول في سعة الوجود، وتقدُّمَ الأول على الثاني في عِزّته وقِلّته، وكونه نادر الوجود، فإنّ النّاس لا يرون أبدا في

(١) أسرار البلاغة صـ٢٦.

الصياغات فضَّة أجري فيها ذَهَبٌ وطُليتْ به، ولا يكاد يتَّفق أن يوجدَ درٌ قد نُثِرَ على بساطٍ أزرق"(١).

المقابلة عند ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ):

درس ابن الأثير المقابلة في باب التناسب بين المعاني على اعتبار أنها الطباق، وتوسع في معناه؛ فذهب إلى أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع بالمقابلة، وهي عنده تأتى على وجهين: وجه تكون فيه بالتضاد، ووجه تكون فيه بغير التضاد؛ لأن الشيء إما أن يقابل بضدّه، أو يقابل بما ليس بضدّه، وليس لنا وجه ثالث (٢).

وإذا كانت الصبغة الأدبية قد غلبت على بحوث ابن الأثير باعتباره أديبا وكاتبا، فإن ذلك قد انسحب على بحثه للمقابلة، حيث أطال النظر في ذكر شواهدها وتقسيماتها، فوقف أمام القسم الأول وهو مقابلة الشيء بضده وجعله ضربين: أحدهما – مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر – مقابلة في المعنى دون اللفظ.

وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فجعله أيضا ضربين: أحدهما – ألا يكون مِثْلًا، والآخر – أن يكون مِثْلًا، فأما الأول فأدرج تحته نوعين، أحدهما – ما كان بين المقَابِلِ والمقُابَل نوعٌ ومناسبةٌ وتقاربٌ، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالطباق الخفي، وثانيهما ما كان بين المقَابِلِ والمقَابَل بُعد، وذلك لا يحسن استعماله كما في المقابلات البعيدة، ثم يتطرق إلى نوع آخر من أنواع التقابل يضيفه إلى هذا الوجه سمّاه "المؤاخاة بين المعاني" وهو المعروف بالتناسب، وقد علّل إيراد هذا النوع من التناسب في باب المقابلة بأنه كان ينبغي أن يَعقد له بابا مفردا، لكنّه لما رآه يُنْظر فيه إلى التقابل من

(١) أسرار البلاغة صـ١٧٢.

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير بتعليق د/أحمد الحوفي ود/بدوى طبانة ١٤٤/٣ ط دار نهضة مصر للطبع والنشر .

وجهٍ وَصلَه به[1] كما أضاف نوعا آخر سمّاه "المؤاخاة بين المباني" وهو يتعلق بمباني الألفاظ، ويطول بنا الحديث إذا أوردنا ما ذكره ابن الأثير من شواهد هذا الباب وصولا إلى ما هو ألصق بدراستنا، وهو الضرب الثاني من التقابل بغير الأضداد الذى سمّاه "مقابلة الشيء بمثله".

مقابلة الشيء بمثله:

توسع ابن الأثير في دائرة المقابلة فجعل منها ما يسمى "مقابلة الشيء بمثله" وضابط المماثلة عنده أنّ كلّ كلام كان مفتقرًا إلى جواب يكون مماثلًا، وهذا الضرب يتفرع إلى فرعين: أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد، والآخر مقابلة الجملة بالجملة.

ومما استشهد به ابن الأثير لتقابل المفرد بالمفرد ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله –ـــ تعالى –ـــ: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا**﴾ [النمل: ٥٠] ويشير ابن الأثير إلى شيوع هذا النوع من المقابلة في القرآن الكريم، وأنه قد رُوعِي كثيرا في نظم القرآن؛ ثم يدلف إلى تفصيل ألوان مقابلة الشيء بمثله في المفرد فيذكر منها صورتين:

الأولى –ـــ إذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلا، ويسوق من شواهد هذا النوع من القرآن الكريم ما يؤيد دعواه؛ كقوله – تعالى –: ﴿**مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ**﴾ [الروم: ٤٤] وقوله – تعالى –ـــ: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ [الشورى: ٤٠] ثم يعلق على ما أورده بقوله: "وهذا هو الأحسن، وإلا فلو قيل: من كفر فعليه ذنبه، كان ذلك جائزا، لكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله – تعالى –ـــ وعليه مدار الاستعمال"[2].

(١) ينظر: المثل السائر ١٥٣/٣.

(٢) المثل السائر ١٥٩/٣.

وما استشهد به ابن الأثير لهذا النوع من التقابل هو ما أطلق عليه أبو هلال (مقابلة الفعل بالفعل) إلا أن ابن الأثير جعل هذا النوع من التقابل عاما يشمل الفعل وغير الفعل، ولعل من دلائل عموم هذا النوع من التقابل عنده أنه ضمَ إليه لونا آخر اختصّه بما مالا يحتاج إلى جواب، أما أبوهلال فقد كان أكثر عمقا في تحليل شواهده، فقد أضاء مواضع استشهاده بعبارات تكشف الطريق لفهم هذه المقابلات دون أن تتغلغل في أسرار البيان.

والثانية – ما لا يحتاج إلى جواب فإنه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية، بل تقابل الكلمة بكلمة هي في معناها وإن لم تكن مساوية لها في اللفظ، ويستشهد لهذه الصورة بما ورد في قوله – تعالى –: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة: ٦٥] فذكر الاستهزاء الذى هو في معنى الخوض واللعب، وقابل به الخوض واللعب، ولو ذكره على حدّ المماثلة والمساواة لقال: أفي الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون(١).

تقابل المعاني:

جعل ابن الأثير من مقابلة الشيء بمثله تقابل الجملة بالجملة أو ما سمّاه (مقابلة المعاني) وفى هذا يقول: "واعلم أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالأعجاز من الأبيات الشعرية"(٢).

ومما استشهد به ابن الأثير لهذا الضرب ما جاء من قوله – تعالى – في ذم المنافقين: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١١–١٣] يعلل ابن الأثير وجه التقابل المعنوي بين فاصلة

(١) ينظر: المثل السائر ٣/١٦٠.
(٢) السابق ٣/١٦٣.

كلّ من الآيتين، ومناسبة كل فاصلة لما سبقها من نفى العلم عن المنافقين في الآية الثانية في مقابل نفى الشعور عنهم في الآية الأولى؛ فيقول: " ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى بـ ﴿**يَعْلَمُونَ**﴾ والآية التي قبلها بـ﴿ **يَشْعُرُونَ**﴾ وإنما فعل ذلك؛ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل تحتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكتسب الناظرُ العلم والمعرفة بذلك، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبنى على العادات، معلوم عند الناس، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتناور، فهو كالمحسوس عندهم؛ فلذلك قال فيه:﴿ **يَشْعُرُونَ**﴾ وأيضا فإنه لما ذكر السفه في الآية الأخيرة وهو جهل، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا؛ فقال:﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾"(١).

وهذا الوجه مما وقع عليه ابن الزبير الغرناطي فكان أكثر تفصيلا؛ إذ ذكر: أن الإيمان لا يحصل إلا عن فكر ونظر، ولا يكون الفكر والنظر إلا من عاقل يعرف الصواب من الخطأ، وقد نفى المنافقون ذلك عن المؤمنين ونسبوهم إلى السفه، ونسبوا أنفسهم إلى العلم؛ فقالوا:﴿**أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**﴾ فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ**﴾ ونفى عنهم العلم فنفى عنهم ما نفوه عن غيرهم، ووصفوا بما نسبوه لغيرهم، ولما كان الفساد في الأرض لا يخفى على أحد ناسبه نفى الشعور ولم يكن ليناسبه نفى العلم فجاء كل على ما يناسب ويلائم (٢).

ومن هذا الضرب أيضا ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾ [سبأ: ٥٠] يقول ابن الاثير مبرزا وجه التقابل في الآية الكريمة: "فإن هذا

(١) المثل السائر ١٦٣/٣.

(٢) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، بتحقيق /سعيد الفلاح ١٧٩/١، دار الغرب الإسلامي ،ط الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٣.

تقابل من جهة المعنى، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال: وإن اهتديت فإنما أهتدى لها، وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها، أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها؛ لأنها الأمَّارة بالسوء، وكل ما هو لها مما ينفعها، فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم عام لكل مكلف، وإنما أمَرَ رسولَ الله ﷺ أن يَسْند ذلك إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع علو محلّه وسداد طريقته كان غيره أولى به"(١).

وفيما ذكره ابن الأثير بيان لأوجه التقابل بين الجمل في الآية الكريمة، فهو ينظر إليه من ناحيتين: الأولى لفظية: بين قوله:﴿**إِنْ ضَلَلْتُ**﴾ وقوله: ﴿**فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي**﴾ والثانية معنوية: بين قوله: ﴿**إِ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ**﴾ وقوله: ﴿**فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي** ﴾ فالجملة الثانية هنا تقابل الجملة الأولى من جهة المعنى؛ لأنها تشير إلى الهداية، ولكن الهداية هنا من جهة الخالق جلَّ وعلا.

المقابلة عند ابن أبى الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ):

إذا كنّا قد رأينا عند قدامة وأبى هلال وابن رشيق وغيرهم توسعا ملحوظا في مفهوم المقابلة؛ فإننا سوف نرى مثل ذلك عند ابن أبى الإصبع، مع كثير من التنسيق والدقة والذوق الرفيع إلى جانب بعض النظرات الدقيقة والوقفات الصائبة في سماء بلاغة القرآن الكريم، ولا غرو فقد سمى أحد كتابيه " بديع القرآن "؛ ليكون بديعا في بابه عجيبا في حُسْنه وطرافته، والآخر " تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن" وأكثر فيهما من الشواهد القرآنية، ووقف أمامها مليًّا فوضع الخطة ورسم المنهج لما ينبغي أن تكون عليه دراسة البديع القرآني ،وأشار إلى وجوه عظمته وإعجازه.

(١) المثل السائر ١٦٢/٣.

يحدد ابن أبى الإصبع رؤيته لمفهوم المقابلة؛ فيقول:"صحة المقابلات عبارة عن: توخّى المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يَخْرِم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخلَّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد" (١).

وفى ضوء ما ذكره ابن أبى الإصبع – في تحديد مفهوم المقابلة – تلفتنا عدَّة أمور:

أوله–ا – أن ابن أبى الإصبع متابع لمن سبقه من النقاد والبلاغيين كقدامة وأبى هلال وابن رشيق في ارتباط المقابلة بالمعنى أكثر من ارتباطها باللفظ؛ ولهذا فهو يؤثر هذا الباب باختيار عنوانه "صحة المقابلات" ويجعله إطارا له، وهى نفس التسمية التي أطلقها قدامة على المقابلة(٢) ولعل في هذا الاختيار إشعارا بما سيبنى عليه شروط المقابلة – في تعريفه لها – من صحة التوخّي عند المتكلم، وقدرته على تجويد هذا اللون البديعي وحسن استخدامه، فهو يدرك تمام الإدراك أن غاية استخدام أي لون بديعي بناؤه على المعنى أولا ثم يأتي اللفظ تبعا لذلك.

ثانيها –ـ وجوب الترتيب بين المتقابلات وجعله مشروطا بصحة المقابلة، وهذا الأمر نبَّه عليه ابن رشيق في تعريفه لها(٣) ولكن ابن أبى الإصبع يجعل الإخلال بهذا الشرط فسادا للمقابلة، وعبارته في ذلك " ومتى أخلَّ (المتكلم) بهذا الترتيب كان الكلام فاسد المقابلة" (٤).

(١) بديع القرآن صـ٧٣ .،وينظر :تحرير التحبير صـ١٧٩.
(٢) ينظر :نقد الشعر صـ١٤١.
(٣) ينظر :العمدة ١٣/٢.
(٤) بديع القرآن صـ٧٣.

وهذه العبارة ذات دلالة غنيَّة حميدة؛ لأنها بمثابة التأكيد على ما ابتدأ به كلامه من ارتباط حسن المقابلة وجودتها بقدرة المتكلم وعمق وعيه ومدى استيعابه لوجوه التناسب والتوافق بين المتقابلات، فالمتكلم هو قطب الرحى الذى عقد عليه ابن أبى الإصبع تعريفه للمقابلة، وجعل جودتها وحسنها مرتبطة بقدرته وسلامة قريحته وصفاء طبعه؛ ولهذا فإنّ المتكلف إذا حاول أن يتوخى صحة المقابلة كان له ذلك ولكنها لا تجرى على يديه مجرى الطبع والعفوية.

وثالثها – التوسع في مفهوم المقابلة من ناحيتين، الأولى عدم الاعتداد بشرط التوافق الذى نصَّ عليه الخطيب في المعاني المتقابلة؛ وبهذا تشمل المقابلة الموافق والمخالف أيضا، والثانية عدم اقتصار المقابلة على الأضداد فحسب، فهي تشمل الأضداد وغير الأضداد على السواء، وهذا التوسع من ابن أبى الإصبع له أهمية كبرى في بحث المقابلة في القرآن الكريم على نحو ما سنرى في تحليله لها.

مقابلة التخالف:

إذا كان مدار المقابلة عند جمهور البلاغيين مبنيًّا على الجمع بين المعاني المتوافقة وما يقابلها على الترتيب؛ فإن ابن أبى الإصبع لا يشترط في المعاني المتقابلة أن تكون متوافقة؛ ولهذا تأتى المقابلة عنده بالموافق والمخالف على السواء، وهذا التوسع له دلالته ومغزاه، فهو لا ينظر إلى عدد المقابلات بقدر ما ينظر إلى ما وراء هذا العدد من هدفٍ ومقصدٍ فضلا عمَّا تؤديه تلك المقابلات من أثرٍ في تصوير المعنى، ولا شك أن هذه إضافة قد أسهمت في إغناء مفهوم المقابلة وفى توسيع أنماطها والإشادة بدورها في ترابط النصوص الأدبية.

يستشهد ابن أبى الإصبع لما ذهب إليه فيقول: ومن معجز هذا البـــاب قوله – تعالى –:﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [القصص: ٧٣][١] ويحلل أسلوب المقابلة فـــي الآية الكريمة تحليلا بلاغيا راقيا، يثبت من خلاله براعته الأدبية ومقدرتـــه البيانية في تناول البديع القرآني، وكأنه أراد – بهذا التحليـــل الرائـــع – أن يضع لنا منهجا نسير عليه في دراسته وتحليل شواهده، وهو تحليل بلا شك قائم على فقه وبصر بأسرار البيان العالي.

يلفت ابن أبى الإصبع إلى التقابل المعجز في الآيـــة الكريمـــة بهـــذا الأسلوب الإنشائي اللطيف مخاطبا كلَّ من يتأتى منه النظر والتدبر لكتاب الله – تعالى –ـــ في كل زمان ومكان؛ فيقول:" فانظروا إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان، ومجيء السكون والحركة في عجـــز الكـــلام وهما ضدان، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب"[٢].

وفى هذا توضيح وبيان لطرفي المقابلة، ثم نراه يلفت إلى سر التكنية أو التعبير عن الحركة بابتغاء الفضل وهو العمل والطلـــب فـــي تحصـــيل الرزق؛ فيقول:"وكيف عبّر – سبحانه – عن الحركة بلفظ الإرداف فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة، والذى أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة، و هى اشتراك الإعانة بالقوة وحســـن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحسّ، ويستلزم إضاءة الظـــرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه؛ ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المآرب ووجوه المصالح، ويتقى أسباب المعاطب"[٣].

(١) بديع القرآن صـــ٧٣ ،وتحرير التحبير صـــ١٧٩.

(٢) السابق: الصفحات نفسها.

(٣) السابق: الصفحات نفسها.

وكان ابن أبى الإصبع بالغ الدقة حين كشف ببيانه الماتع ومنطقه الكاشف عن الغرض الديني لهذه المقابلة؛ فقال:"والآية سيقت للاعتداد بالنِّعم؛ فوجبَ العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه؛ ليتمَّ حسن البيان"(١) وهذه العبارة الأخيرة وهى قوله: ليتمَّ حسن البيان تعليل وتأكيدٌ لإيجاب هذا العدول الذى من أجله حَسُنت المقابلة – في الآية الكريمة – ووقعت موقعها من النظم فكانت معرضا للوضوح والجمال ووسيلة للتصوير والاقناع .

ومن بلاغة ابن أبى الإصبع وحسن بيانه أنه بدأ يعدّدُ ضروب المحاسن في الآية الكريمة إجمالا أعقبه بتفصيل ما أجمله! ليؤكد ما ذكره ويقرره في ذهن السامع؛ فيقول: " فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدَّةً من المنافع والمصالح التي لو عُدِّدت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة؛ فحصل في الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن"(٢) ثم يدلف إلى هذه المحاسن فيعدّدها ويفصلها بعدما ذكرها إجمالا عن طريق هذا التنبيه:"ألا تراه – سبحانه – جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان؛ إذ قال:﴿**لِتَسْكُنُوا**﴾ و ﴿**لِتَبْتَغُوا**﴾ بلام التعليل فجمعت هذه الكلماتُ المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، والائتلاف، وحسن النسق، وحسن البيان؛ لمجيء الكلام فيها متلاحما آخذة أعناق بعضه في أعناق بعض"(٣).

ثم يختم ابن أبى الإصبع عرضه الماتع وتحليله الفياض بقوله:"ثمّ أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدّده من النعم بلفظه الخاص، وما تضمّنته العبارة من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمته؛ إذ قال

(١) بديع القرآن صـ٧٤.
(٢) بديع القرآن: الصفحة ذاتها.
(٣) السابق: الصفحة ذاتها.

بحرف التبعيض:﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ وكل هذا في بعض آية عِدَّتها إحدى عشرة لفظة، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المتظاهرة "(١).

بهذا التحليل الدقيق كشف ابن أبى الإصبع عن سرّ الإعجاز في الآية الكريمة، وما ذكره يعد شاهدا على ما لم يذكره، وقد صرّح بهذا فقال:" وفى ذكر هذه الآية الكريمة أتمُّ غناء في هذا الباب؛ فقس عليها غيرها، والله أعلم بالصواب"(٢).

فهذا النموذج يكشف عن طريقته في معالجة الفن البديعي، ولا شك هذه المعالجة تكشف عن سعة ثقافته، وحسن تفهمه لدقائق استعمال اللفظ القرآني.

وقد أوردنا هذا النص على طوله لنشير إلى عمق فكرته وحسن إصابته؛ فالصورة التي رسمها ابن أبى الإصبع لدراسة البديع القرآني واضحة المعنى مشرقة البيان، ونحن لا نفرغ إذا تتبعنا كل لمحات ابن أبي الإصبع بالتعقيب والاطراد؛ لذا اكتفينا بما أوردناه ليكون دليلا على ما لم نورده.

تبقى فقط أن نشير إلى رأى السَّكاكي والخطيب في الآية الكريمة، ولأن مدار المقابلة عندهما على الجمع بين المعاني المتوافقة وما يقابلها على الترتيب فقد انتفت المقابلة لعدم تحقق شرطها وهو التوافق، ففي الآية طباقان: الأول لفظي بين الليل والنهار، والثاني معنوي بين تسكنوا وتبتغوا، وهو الذى جعله الخطيب ملحقا بالطباق وعلّل ذلك بقوله:" لأن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون، والعدول عن لفظ الحركة إلى ابتغاء الفضل؛ لأن الحركة ضربان: حركة لمصلحة، وحركة لمفسدة، والمراد الأولى لا الثانية"(٣) كما أن في الآية لونا بديعيا آخر ذكره الخطيب في بابه،

(١) السابق: الصفحة ذاتها ،وينظر: خزانة الأدب ٢/٢٥.
(٢) بديع القرآن صـ٧٤.
(٣) الإيضاح صـ٣٥٢.

وهو اللف والنشر[١] حيث ذكر الليل والنهار، ثم ذكر ما لكلّ واحد من غير تعيين؛ كما جاء في قول امرئ القيس:

كَأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابِسًا لَدى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي.

المقابلة عند حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ):

ترتبط نظرية الإبداع عند حازم بالفنون البلاغية التي جعلها من محدّدات الأسلوب الأدبي، وتعتبر المقابلة من أهم تلك الفنون التي يتحقق بها التناسب الأسلوبي بما تحدثه من توازن بين الأشياء المتناظرة؛ ولهذا فهو ينظر إليها نظرة موسّعة باعتبارها إحدى طرق التناسب بين المعاني التي تحقق للنص جودته وفنيّته؛ فيقول: "إذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها؛ فانظر مأخذا يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيّزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيّز وموقعه في الحيّز الآخر؛ فيكون من اقتران التماثل، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه فيكون هذا من اقتران المناسبة، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بمضادّة فيكون هذا مطابقة أو مقابلة، أو مأخذا يصلح فيه اقتران الشيء بما يناسب مضادّه فيكون هذا مخالفة"[٢].

والمقابلة عند حازم أعم من الطباق، ويشترط لحدوثها "التوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبةٌ تقتضى لأحدهما أن يذكرَ مع الآخر من جهة ما بينهما من تباينٍ أو تقاربٍ، على صفة من الوضع تلائم بها عبارةُ أحد المعنيين عبارةَ الآخر كما لاءَم كلا المعنيين في ذلك صاحبه" [٣].

---

(١) عرَّفه الخطيب بأنه: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه. الإيضاح صـ٣٦٦.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبى الحسن حازم القرطاجني بتحقيق/محمد الحبيب الخوجة صـ١٤،١٥ دار الغرب الإسلامي، ط الثالثة ٢٠٠٧م.

(٣) منهاج البلغاء صـ٥٢.

مقابلة التخالف:

للمقابلات عند حازم أنواع متشعّبة، وقلّ من يفطن لمواقع كثير منها في الكلام، كما أن كثيرا من النّاس يَعدُّ من المقابلة ما ليس منها، ولكنها أكثر ما تأتى على نوعين: الأول مقابلة التضاد وهى معروفة، والثاني مقابلة التخالف، ولا يَشْتَرط فيها اتفاق المعنيين المتقابلين في طرق الكلام في الرتبة، وإذا أمكن تقابلهما فهو أحسن، ويمثل لها بما أنشده قدامة للطِّرِمَّاح بن حكيم:

أسَرْنَاهم وأنْعَمْنا عليهم وأسْقَيْنا دِمَاءَهُمُ التُّرَابا

فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عند حربٍ ولا أدَّوْا لِحُسْنِ يَدٍ ثَوَابَا

فقابل ما في صدر البيت الأول بما في عجز البيت الثاني، وما في عجز الأول بما في صدر الثاني[1]، وما سمّاه حازم مقابلة التخالف هو ما أطلق عليه ابن رشيق مقابلة الاستحقاق، ويستشهد أيضا لمقابلة التخالف بما أنشده ابن سنان الخفاجي:

جزىَ الله خيرًا ذَاتَ بعْلٍ تَصدّقت على عَزَبٍ حتّى يكونَ له أَهْلُ

فإنّا سَنُجْزِيها بحُسْنِ فِعَالِها إذا ما تزوّجنا وليسَ لها بَعْلُ

فجعل في مقابلة أن تكون المرأة ذات بعل وهو لا زوج له، أن يكون هو ذا زوج وهى لا بعل لها، وحاجته وهو أعزب بحاجتها وهى كذلك، وهذه مقابلة صحيحة[2].

المقابلة عند العلوى (ت: ٧٤٩هـ)

ألّف يحيى بن حمزة العلوى كتابه "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" متأثرا بابن الأثير، وابن الزملكاني، وابن الخطيب الرازي، وبدر الدين بن مالك، في بعض كتبهم التي نص عليها في مقدمة

(١) السابق :صـ٥٢،٥٣.

(٢) ينظر: منهاج البلغاء صـ٥٤.

كتابه[١] إلا أنه استطاع أن يحافظ على التوازن بين المنهج العلمي والمنهج الأدبي، فلم تغلب عليه الصبغة الكلامية كما عند الرازي والسكاكى، ولم تغلب عليه الصبغة الأدبية كما عند ابن الأثير.

وفيما يخص المقابلة فقد تناولها العلوى وقسّمها إلى أقسام أربعة، بعد أن ذهب إلى أنه من الأولى تلقيب الطباق بالمقابلة؛ استنادا إلى المعنى اللغوي للمطابقة، فالطباق والمطابقة يشعران بالتماثل؛ بدليل قوله – تعالى – : ﴿**سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**﴾ [الملك: ٣] كما ذكر جَوّابُ البلاغة ونقّادُها البَصِيرُ والمهيمِنُ على مَعَانيها وخِرِّيتُها الخبيرُ قدامةُ بن جعفر، وبعد تأسيس هذه القاعدة يشرع العلوى في بيان أقسام المقابلة، وأنها: مقابلة الشيء بضده من جهة لفظه، ومقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة، ومقابلة الشيء بما يماثله[٢].

مقابلة التماثل:

الذى يهمنا الآن من هذه الأقسام الأربعة القسم الرابع وهو مقابلة التماثل، وقد سلك فيها العلوى مسلك ابن الأثير وانتهج نهجه في جعلها على وجهين، الأول – مقابلة المفرد بالمفرد، والثاني – مقابلة الجملة بالجملة، أما مقابلة المفرد بالمفرد فيحدد إطاره بالجملة التي تتكون من مبتدإ وخبر متماثلين؛ كقوله – تعالى –:﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا**﴾ [يونس: ٢٧] حيث قابل المبتدأ ﴿**جَزَاءُ سَيِّئَةٍ**﴾ مع خبره ﴿**بِمِثْلِهَا**﴾ أو جملة شرطية فيها الشرط والجواب متماثلان؛ كقوله – تعالى –: ﴿**مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ**﴾ [الروم: ٤٤] حيث قابل فعل الشرط ﴿ **كَفَرَ** ﴾ مع جوابه ﴿ **فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ**﴾ ولو قال: من كفر فعليه جُرمه، جاز ذلك، ولكن الأحسن المماثلة،

(١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، بتقديم د/إبراهيم الخولي ١/٣، ٤ سلسلة الذخائر.

(٢) السابق: الصفحة ذاتها.

وضابط المماثلة عنده: أن كل كلام كان مفتقرا إلى الجواب كان جوابه مماثلا، وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية؛ كما ورد في قوله – تعالى –:﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة: ٦٥] فالخوض واللعب من جهة المعنى استهزاءٌ بالله، وإعراضٌ عن أمره وأمر رسوله، ولو أراد المشاكلة اللفظية لقال: قل أبالله ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون(١).

وأما مقابلة الجملة بالجملة فقد خرج بها العلوى عن الإطار الذى حدّده في مقابلة المفرد بالمفرد، فهي مقابلة بالتماثل باعتبارها جملة مكتملة الإسناد كما ورد في قوله تعالى:﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٤] فالجملة الأولى:﴿**وَمَكَرُوا**﴾ والجملة الثانية: ﴿**وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ أما جملة الشرط فقد جعلها متردّدة بين الإفراد والتركيب؛ كما جاء في قوله – تعالى –:﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي** ﴾ [سبأ: ٥٠] فقد أجاز أن تكون المقابلة من باب مقابلة المفرد بالمفرد على أساس أنها جملة واحدة؛ لأنها وإن كانت جُمَلا لكنها قد نقضت عن الاستقلال بعقد حرف الشرط لها عقدا واحدا، كما أجاز أن تكون من مقابلة الجملة بالجملة على أساس أن الشرط جملة والجواب جملة أخرى، فلما كان الأمر كذلك جاز فيها الوجهان(٢).

وإذا كان العلوى قد تابع ابن الأثير في تقسيماته للمقابلة بعامة، ومقابلة التماثل بخاصة فإنه كان أكثر تحليقا في تحديده لمفهوم هذا النوع من التقابل حين جعله في قواعد واضحة تعتمد على المبتدإ والخبر في تقابل المفردات، وعلى عطف الجملة المكتملة الإسناد في تقابل الجمل.

(١) ينظر: الطراز ٢/٣٨٧.
(٢) ينظر: الطراز ٢/٣٨٨

المقابلة المعنوية:

رمق العلوى من سماء بلاغة القرآن وجها آخر للمقابلة سمّاه "المؤاخاة المعنوية" نبّه عليه وجعله ملحقا بتقسيماته للمقابلة، وهذا الوجه قد وقع عليه ابن الأثير إلا أن العلوى تناوله بمفهوم جديد واضح المعالم كشأنه في تحديداته لسائر أقسام المقابلة؛ فقال: "وأما المؤاخاة المعنوية فهي واردة في القرآن كثيرا، وهذا إنما يكون في فواصل الآى؛ فإنها تأتى مطابقة على ما سبق من معنى الآية"(١).

ويستشهد العلوى لذلك بما ورد في فواصل آيات سورة الحج، وهى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٣-٦٥].

يقول العلوى مبرزا وجه تناسب فواصل الآيات لما تقدمها، وربط ذلك بالتقابل المعنوي: "فالآية الأولى: إنما فَصلَها بقوله: ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لما فيه من المطابقة لمعناها؛ لأنه ضمَّنها ذكرَ الرحمة للخلق بإنزال الغيث لما فيه من المعاش لهم ولأنعامهم، فكان لطيفا بهم خبيرا بمقادير مصالحهم.

وأما الآية الثانية: فإنما فَصلَها بقوله: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ ليطابق ما أودعه فيها؛ لأنه لما ذَكر أنه مالكٌ لما في السموات والأرض لا لحاجة، قابله بقوله: ﴿لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: عن كل شيء؛ لأن كلّ غنيٍّ لا يكون نافعا بغناه إلا إذا كان جوادًا به مُنْعِمًا على غيره، فإنه يحمده المنْعَمُ عليه، فذكر:

(١) الطراز: ٢/٣٩٠.

﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾؛ ليدل به على كونه غير مفتقرٍ إليها، وذكر: ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لم--ا كان جوادا بها على خلقه، فلا جرم استحق الحمد من جهتهم.

وأما الآية الثالثة: فإنما فَصَلها بـــ ﴿ لَرَءُوف رَّحِيم ﴾؛ لأنه لما عدّد جلائل نعمه وكانت مسخّرةً مدبّرةً، وكانوا لولا رحمته متعرّضين بصددها لمتالفَ عظيمة من الأهوال البحرية والآفات السماوية، فلمّا كانت في أنفسها متعرضة لهذه الأمور عقَّبها بذكر الرأفة والرحمة؛ لينبّهَ على كمال لُطْفِه وعظيم رحمته بالخلق، وهكذا القول في سائر الفواصل القرآنية، فإنك لا تزال تطلع منها على فوائد مناسبة لتلك الفاصلة كما أشرنا"(١).

وبهذا المسلك الذى سلكه العلوى في توجيه التناسب بين فواصل الآيات الثلاث ضرب لنا أنموذجا حيّا للتحليل الدقيق الذى يكشف عن طريقة معالجته لدقائق النظم القرآني، وهذه المعالجة بلا ريب كشفت عن سعة ثقافته ودقة خبرته وحسن تفهمه لدقائق استعمال اللفظ القرآني.

(١) الطراز: ٢/٣٩٠،٣٩١، وينظر: المثل السائر ٣/١٦٤.

أسلوب المقابلة عند علماء البلاغة في العصر الحديث

عرفنا فيما سبق أن هناك دعاوى كثيرة عند كثير من البلاغيين تطالب بتوسعة دائرة المقابلة، وتنادى بربط أسلوبها بالمعاني، وأنها أوسع بكثير من أن تكون محصورة في التقابل بين الألفاظ سواء قلّت في التراكيب أو كثرت.

وقد وجدت هذه الدعوات صدى كبيرا لدى الباحثين المعاصرين من علماء الأزهر وغيرهم ممن اهتموا بدراسة الفنون البديعية وتجلية ما وراءها من أسرار؛ يقول الدكتور /الشحات أبو ستيت وهو يعد من أبرز الداعين إلى اتساع مفهوم المقابلة، وأنها تتحقق بالأضداد وغير الأضداد؛ لارتباطها بالمعاني والمشاهد التي تنهض على الموازنات والمقارنات بين أنماط مختلفة وأصناف متباينة، وإن لم تكن أطرافها متساوية العدد متضادة المعاني، منظومة على الترتيب (١) فالشيخ – رحمه الله– يطرح علينا رؤيته الخاصة في دراسة أسلوب المقابلة، وأنه ينبغي علينا أن نوسع من دائرة دراستها؛ لأن مجرد الجمع بين الألفاظ المتضادة والمعاني المتقابلة لا يفي ببلاغة النظم ولا تقاس عليه جودة الأساليب.

ولعل من الداعين إلى استخدام المقابلة كمنهج بلاغي للموازنة الدكتور/عبد الواحد علاّم، وهو أحد روّاد التجديد في الدرس البلاغي المعاصر الذين اهتموا ببيان القيمة الفنية والتعبيرية لفن المقابلة، فيأخذ على البلاغيين جريهم وراء التقسيمات والتفريعات، وأنه ما كان ينبغي عليهم أن يلتفتوا إليها، ثم ينعى عليهم القيام بتلك العملية العجيبة من الإحصاء، وسوق أمثلة غاية في التكلف والتصنع وبخاصة تلك المقابلات التي ذهبوا فيها إلى القول بمقابلة خمسة بخمسة وستة بستة، ثم يخلص إلى أنه لا يوجد مقابلات

(١) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع ، د/الشحات أبو ستيت، صـ٦٣ دار خفاجي للطباعة والنشر ط الأولى ١٩٩٤م.

من هذا النوع في أدب يتمتع بالرقى [1]، ويمتد به الحديث إلى القول بـــأن " البعد بالمقابلة عن مجرد المقابلة بين الألفاظ إلى المقابلة بين المواقف أمـــر جدير أن يبشر به النقد الحديث ويدعو إليه، وحقيق بأن يتبنـــاه البلاغيـــون العرب الحريصون على تطور البلاغة تطورا مستمدا من التـــراث ومتكئـــا على القديم"[2].

وللدكتور/عبد الفتاح عثمان – في هذا الصدد – كلام لطيف ينبئ عن توفيق بالغ؛ إذ يقول:" والمقابلة في التعبير قد ترتقى عـــن هـــذا المســـتوى اللفظي الذى يقوم فيه التضاد بين المعاني اللغوية للكلمات والجمـــل علـــى مستوى أرحب من المفارقة التصويرية التي يبرز فيها التناقض من المواقف والأفكار والأحداث "[3] وهذه العبارة الأخيرة على قصـــرها اســـتطاعت أن تكشف عن دور المقابلة وتفاعلها مع السياق في إثبات الحقـــائق، ووصـــف المشاهد التي تنهض على الموازنات بين أنماط مختلفة وأصـــناف متباينـــة، دون النظر إلى تضاد الألفاظ أو ترتيبها أو عددها.

وإذا أردنا التدليل على ذلك فلنول وجهنا شطر القرآن الكـــريم، فهـــو ذاخر بالمشاهد القرآنية في وصف المؤمنين والكـــافرين، والجنـــة والنـــار، والثواب والعقاب وغيرها من المشاهد المتقابلة التي كان لها أثر بالغ فـــي تصوير المعنى والوفاء به دون النظر إلى اعتبارات البلاغيين وقيودهم.

ومن الشواهد القرآنية على ذلك ما جاء في قوله – تعالى – :﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾ [محمـــد: ١٢] فالنظم القرآني – هنا – قد سلك سبيل المقابلة بين حالين أو موقفين للتعبيـــر عن الفكرة التي يريد إقرارها وبيانها، فرسم صورة حيّة بينة المعام واضحة

(١) ينظر: البديع المصطلح والقيمة صـــ١٤٩ مكتبة الشباب ١٩٨٩م.

(٢) السابق صـــ١٥٢.

(٣) دراسات في علم المعاني والبديع د/عبد الفتاح عثمان صـــ ٢١٣،ط مكتبة الشباب.

القسمات للمؤمنين المنعمين في الجنة، بأن أعطاهم النعيم الخالد بعد نصرهم في الدنيا، ووضع أمامها صورة الكافرين وهم مسلوبون من فهم الإيمـــان؛ فكان حظهم من الدنيا كحظ الأنعام ومآلهم العذاب في الآخرة.

وقد رَجَعَ العلامة الطيبي – فيما نقله الألوسي – سرَّ المقابلة بين قوله سبحانه:﴿**يتمتعون ويأكلون**﴾ وقوله سبحانه:﴿**وعملوا الصالحات**﴾ إلى ما فيه من الإيماء إلى أنهم عرفوا أن نعيم الدنيا خيال باطل وظل زائـــل، فتركـــوا الشهوات وتفرغوا للصالحات، فكان عاقبتهم النعيم المقيم في مقـــام كـــريم، وهؤلاء غفلوا عن ذلك فرتعوا في دِمَنِهِم [(١)]كالبهائم حتى ساقهم الخذلان إلى مقرهم من درك النيران[(٢)].

وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم وجدنا كثيرا مـــن المشـــاهد القرآنيـــة المتقابلة قد تنوعت صورها وتعددت مظاهرها، عرضها القـــرآن بأســـلوبه المقنع ومنطقه الكاشف على نحو يبرز الهدف في سياقات متعددة على نمط المقارنة والموازنة.

من ذلك ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾ [النساء: ٥٦-٥٧].

ومن ذلك أيضا ما جاء في السورة الكريمة نفسها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ**

(١) الدِّمَن :جمع دِمْنة وهي ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها؛ أي: تلبده في مرابضه.
(٢) ينظر: تفسير روح المعاني ٢٦/ ٤٦ ط دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ).

﴿مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢] .

ولتكن هذه المقابلات وغيرها إشارات مضيئة، ولبنة تضم إلى ما ذكره البلاغيون في تحديد مفهوم المقابلة، فتتسع صورها وتتفتح آفاقها الرحبة، وتزداد ثراء وغنى، فتكون حينئذ – كما ذكر الإمام عبد القاهر في شأن الاستعارة أنها – :"أمدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثرُ جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسعُ سَعةً وأبعدُ غورًا، وأذهبُ نجدًا في الصّناعة وغَوْرًا؛ من أنْ تُجمعَ شُعبَها وشُعُوبِها وتُحصرَ فُنونُها وضُرُوبُها "[1] وهذا في رأيي هو المنهج الأمثل في معالجة هذا الفن البلاغي؛ لأنه يساير المنهج القائم على التسليم بفكرة النظم كما قررها الإمام عبد القاهر.

(١) أسرار البلاغة صـ٤٢.

الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

فقد توصلت الدراسة في نهاية مطافها إلى عدة نتائج، نقتطـــف أهـــم ثمارها، وهى:

أولا –ـ سعت الدراسة إلى رصد أسلوب المقابلة عنـــد البلاغيـــين، وأشادت ببعض العلماء الذين نظروا إلى المقابلة نظرة موسّـــعة، واهتمـــوا بمقابلات المعاني والمواقف كابن رشيق، وابن أبى الإصبع، وابن الأثيـــر، والعلوى، وغيرهم؛ لأنهم اقتربوا من مفهوم المقابلة القرآنية.

ثانيـــا – اعتنت الدراسة بالكشف عن مسارات المقابلة عند البلاغيين، فاهتدت إلى حقيقة تعددها وتنوعها وعدم اقتصارها على الأضداد؛ اســـتنادا إلى واقع النصوص العربية، حيث وردت المقابلة في فصيح اللسان العربـــي بين الأضداد وغيرها.

ثالثا – خلصت الدراسة إلى أن المقابلات تمثل جانبا كبيرا من جوانب التفكير البلاغي، فقد أسهم البلاغيون والنقاد إسهاما كبيرا في تصعيد مفهوم المقابلة وربطها بالمعاني والمواقف والأحداث، فلم تعد المقابلة مقصورة على تلك النظرة الضيقة المحصورة فى الأضداد وتقييدها بالترتيب أو العدد كمـــا ذهب الخطيب ومن تابعه.

رابعا – أظهرت الدراسة أن هذا المفهوم الواسع الممتد للمقابلة دعـــا إليه كثير من العلماء قديما وحديثا؛ فقد أسهمت تلك الإضافات فـــي إغنـــاء مفهومها وتوسيع أنماطها؛ ومن ثم فهي تتطلع إلى إعادة النظر في كثير من فنون البديع لدراستها بهذه النظرة الشمولية.

خامسا – أكدّت الدراسة أن المقابلة في مـــذهب النقـــاد والبلاغيـــين محسن بديعي إلا أن المتأمل فى دلالتها واستخداماتها المتعـــددة يجـــد لهـــا أغراضا أبعد من ذلك، فهي تثير الانتباه إلى الفكرة، وتســـهم فـــى إبـــراز المعاني وإيضاحها وتأكيدها وتثبيتها فى الذهن وترسيخها فى النفس حتى تلجَ

الآذان بغير إذن، وتتعلق بالقلب من غير كدّ؛ لذا كانت من أبرز أساليب نظم المعاني وإحدى طرق البيان التي تجد فيها المعاني معرضا للوضوح والجمال.

سادسا – أثبتت الدراسة أن القرآن الكريم يتوجه في بعض تقابلاته نحو الصور الكلية، والمشاهد المركبة التي تنهض على الموازنات بين أنماط مختلفة وأصناف متباينة، وإن لم تكن أطرافها متساوية العدد متضادة المعاني منظومة على الترتيب.

سابعا – في ختام هذه الدراسة أوصى بتوسعة دائرة المقابلة بدراستها في سياقات القرآن الكريم المتنوعة؛ كدراستها في سياق الخير والشر، والحلال والحرام، والجنة والنار، والولاء والبراء، والحق والباطل، والهدى والضلال، والأمن والخوف، والفناء والبقاء، وغيرها من سياقات مختلفة قامت فيها المقابلة بدور رئيس في إبراز المعنى وإيضاحه، كما أوصى أن تكون دراستنا للبديع القرآني في ضوء هذه النظرة الشمولية، وفي خاتمة المطاف فإني لآمل أن أكون قد وفقت فيما بسطته، فإن أصبت فبفضل من الله – تعالى – وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، فأسأله سبحانه الصفح والغفران، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة بتعليق/محمود شاكر،دار المدني بجدة، ط الأولى ١٤١٢هـ١٩٩١م.

٢- الأطول شرح مفتاح تلخيص العلوم لعصام الدين بن عربشاه، بتحقيق د/عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٤- البديع المصطلح والقيمة، مكتبة الشباب ١٩٨٩م.

٥- البلاغة تطور وتاريخ د/شوقي ضيف، دار المعارف، ط الثالثة.

٦ -ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، بتحقيق د/حفني شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٦هـ١٩٩٥م.

٧- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بتحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.

٨- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر.

٩- حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ٢٩٧/٤ ط دار البصائر.

١٠-حاشية السيالكوتي على المطول، بتحقيق /محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

١١-خزانة الأدب وغاية الأرب شرح/عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط الأولى ١٩٨٧م.

١٢- دراسات منهجية في علم البديع د/الشحات أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، ط الأولى ١٩٩٤م.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٤-سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي بتعليق الشيخ /عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد على صبيح وأولاده ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
١٥- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، بتعليق/غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م .
١٦- شروح التلخيص ،ط دار البصائر بدون تاريخ.
١٧- الصناعتين الكتابة والشعر؛ لأبي هلال العسكري، بتحقيق /محمد على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٨- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي د/محمد بركات أبو على، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز؛ للعلوي، بتقديم د/إبراهيم الخولي سلسلة الذخائر.
٢٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده؛ لابن رشيق بتحقيق/محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الطلائع.
٢١- قراءة جديدة في نقد الشعر لقدامة بن جعفر د/عبد الحليم محمد شادي بدون.
٢٢-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، مكتبة العبيكان، ط الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٢٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ لضياء الدين بن الأثير بتعليق د/أحمد الحوفي، ود/بدوى طبانة، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢٤-المطّول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة سعد الدين التفتازاني، بتحقيق د/ الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٢٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي، بتحقيق /محمد محي الدين عبد الحميد، ط عالم الكتب ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م.

٢٦- مفتاح العلوم للسَّكاكي بتعليق/نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٧م.
٢٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، بتحقيق/سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ،ط الأولى ١٤٠٣ه١٩٨٣.
٢٨- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبى الحسن حازم القرطاجنى، تقديم وتحقيق /محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط الثالثة ٢٠٠٧م.
٢٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
٣٠- نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر، بتحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٣١- الوساطة بين المتنبي وخصومه بتحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي، المكتبة العصرية ،ط الأولى ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.